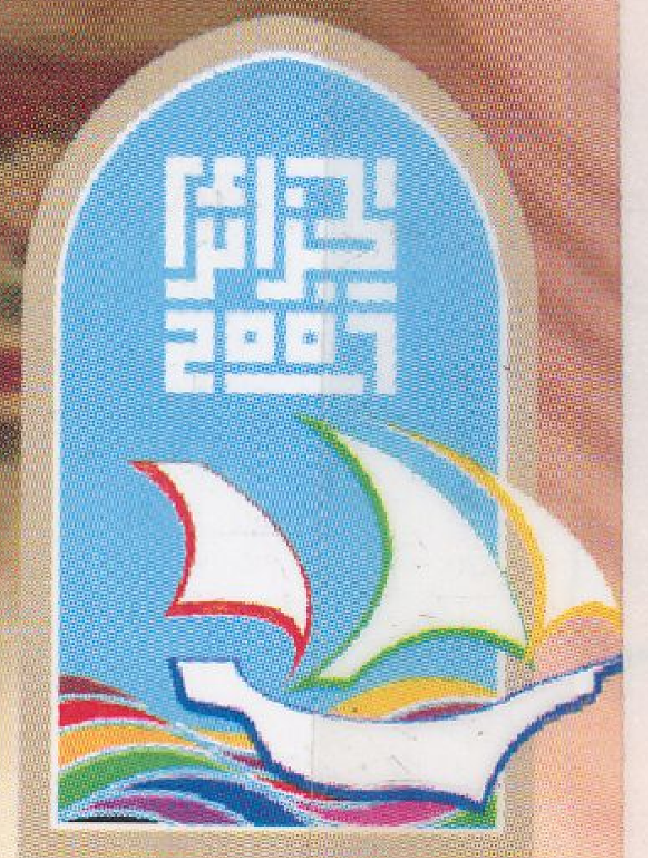
الدكتور : عبد العزيز شهبي

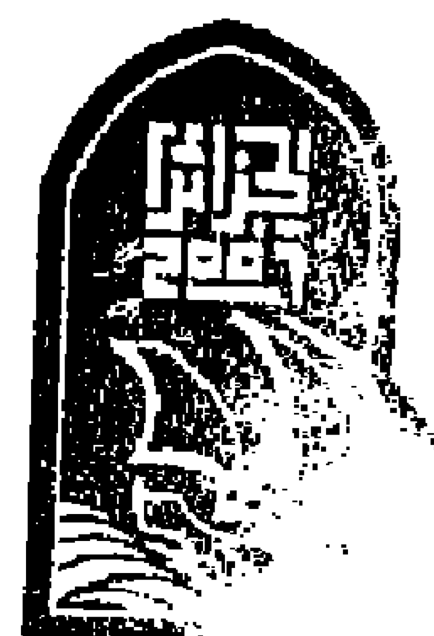
الزوايا والصوفية والعزابة والإحتلال الفرنسي في الجزائر







دار الغرب للنشر و التوزيع



الدكتور : عبد العزيز شهبي

الزوايا والصوفية والعزابة والإحتلال الفرنسي في الجزائر

دار الغرب للنشر والتوزيع

المقدمـــــــــة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

كثر الجدل والنقاش في أوساط المثقفة حول الزوايا ومختلف الطرق الصوفية في الجزائر ، أثناء فترة الاحتلال الفرنسي ، ومدى مساهمتها في الحفاظ على مقومات المجتمع ، ومقاومة الاحتلال ، أو تخضير المجتمع والتعامل مع الاحتلال فهل كان دور الزوايا والتصوف إيجابيا أوسلبيا في مواجهة الاحتلال الفرنسي ؟ وكيف كان موقف الاحتلال ورد الفعل ؟

في الواقع قامت دراسات حول الزوايا والتصوف في الجزائر ، ولو كانت قليلة أو جزئية وتعرضت إلى جوانب دون أخرى ، أو محلية في بعضها . ولو اجتمع شتات تلك الدراسات وتناولت بطريقة أكادمية كما فعل " د.أبو قاسم سعد الله " في مؤلفه " تاريخ الجزائر الثقافي " ، لوجد الباحث مادة غزيرة حول الموضوع أو ما يحتاج إليه .

واعتمادا على ما ذكر حاولت جمع بعض المعطيات حول الزوايا والتصوف ، وتلخيصها وترتيبها ، وتقديمها مختصرة للقارئ.

ولعل المتصفّح قد يجد في هذه المساهمة البسيطة والتواضعة ما كانت تقوم به الزوايا من تعليم ديني تمثل خاصة في القرآن والتفسير

والحديث والفقه ، والنحو والصرف والأدب والبلاغة ، بالإضافة إلى علوم أخرى كالحساب والفلك والتاريخ والجغرافيا .

أما التصوف فبالإضافة إلى اهتمامه بالعبادات والزهد ، فظهر دوره الروحي والاجتماعي والتربوي لا سيما في إقامة الزوايا والقيام بالتعليم ، وإيواء اللاجئين ومساعدة المحتاجين ، والإصلاح بين أفراد المجتمع ، وتقديم الملجأ الروحي للذين يعانون من الإضطهاد الاحتلال وتعوزهم الوسيلة لمقاومته .

ورغم بعض المواقف والممارسات السلبية ، إلا أن الزوايا والصوفية قد ساهمت إلى حد كبير في المحافظة على مقومات الشخصية الوطنية ، وتصدت للاحتلال بطريقة أو أخرى ، وكان ينتمي إليها رجال المقاومة في القرن التاسع عشر في معظمهم.

لذلك وقف الاحتلال في وجه هذه المؤسسات ، وحاربها بجميع الوسائل ، فهدم كثيرا من مبانيها أو أغلقها ، وقضى على ممتلكاتها ، وسجن بعض شيوخها أو نفاهم ، وسيطر على بعضهم الآخر أو استمالهم إليهم .

وأضفت إلى هذه المؤسسات جماعة العزابة بوادي الميزاب ، لكونها قامت بنفس الدور ، عدا الممارسات الصوفية .

والله ولي التوفيق

د.عبد العزيز شهبي

تمهيـــد

يلاحظ أن الزوايا المؤسسة أصلا للتعليم الديني أو زوايا تحفيظ القرآن الكريم التابعة للصوفية ، كانت مدارس للتربيـــة والتعلـــيم، وتهيئة النشء للمعاهد الإسلامية العالية . حيث يتخرج منها علماء وأئمة ينتشرون في المدن والقرى والأرياف معلمين وهداة ومرشدين روحيين .

ومن هنا كان إقبال الناس على دراســـة العلـــوم الدينيـــة في المعاهـــد العليا أيام الاحتـــلال لا يتم عادة إلا بعد أن يمروا بالزوايا التي تؤهلهم لذلك ، فيتخرجون أعلام فكر ودعاة إصلاح ، وعلماء بلاغة وبيان لأجل خدمة أمتهم وإعلاء شأنها بين الأمم .

وكما كانت هذه الزوايا محط الرحال لطلبة القـــرآن واللغـــة العربيـــة والعلوم الإسلاميـــــة ، فقد كانت أيضا ملجأ للفقـــراء والمساكين ومأوى الغرباء والعجزة وأبناء السبيل لإطعامهم وإيوائهم وهي بذلك تقدم لهم خدمـــة اجتماعيـــة جليلـــــة في الماضـــي القريـــب.

هذه الزوايا المعروفة في الجزائر كثيرا هي زوايا القرآن واللغـــة العربية والعلوم الدينية ، وقد استمر وجودها طيلة فترة الاحـــتلال الفرنسي ، فكانت حصنا من حصون الثقافة الإسلامية ، ومنـــهلا

للغة العربية ومدرسة للتربية الدينية والوطنية ، ومعقلا للمجاهــدين الأحرار الذين رفضوا وجود الاستعمار الفرنسي وما حمل معه من فساد ، وتدمير للوطن وللشخصية العربية الإسلامية .

لقد كانت هذه الزوايا البسيطة روافد تمد المدارس الحــرة في الجزائر وتزود المعاهد والجامعات الإسلامية في المغــرب والمــشرق بطلبتها النجباء كالجامع الأخضر بقسنطينة ، وجامع الزيتونة بتونس وجامع القرويين بالمغــرب الأقصى ، والجامع الأزهــر بمــصر . فبعض هؤلاء الطلبة الذين تحتضنهم هــذه المعاهــد والجامعــات الإسلامية ، هم في الأصل أبناء الزوايا والكتاتيب القرآنية التي بعثت فيهم الروح العلمية الإسلامية والغيرة الوطنية

وفي زوايا القرآن والعلم والتربية والكتاتيب نــشأ وترعــرع المصلحون والمجاهدون الأولون أمثال الأمير عبد القادر ، والــشيخ بلحداد ، والشيخ بوعمامة ، والشيخ عبد الحميد بــن بــاديس ، والشيخ البشير الإبراهيمي ، والشيخ العـــــربي التبسي ، والشيخ مبارك الــميلي ، والشيخ أرزقي الشــــرفاوي ، والشيخ المولود الحافظي ، والشيخ مولود الزريبي ، والشيخ الفــضيل الــورتلاني ،

فكلهم أبناء الزوايا والكتاتيب ، وأمثالهم كثيرون . في كل أرجاء الوطن الجزائري [1] .

إن هذه الزوايا إذن كان لها الدور الكبير في حماية العقيدة الإسلامية من حملات المبشرين التنصيرية الكثيرة بالجزائر أيام الاحتلال ، وفي الحفاظ على قراءة القرآن الكريم ، وبقاء قيمه ومفاهيمه نظيفة خالصة، رغم الثقافة الاستعمارية التي سادت ربوع هذا الوطن والتي حاولت أن تثير الشبهات حول الدين الإسلامي للقضاء عليه أو زعزعته .

وعلى هذا الأساس يكون مؤسسوا هذه الزوايا والمعلمون فيها أصحاب رسالة ولهم وزن عند الناس لأنهم صانعوا أجيال وبناة مجد احتفظ التاريخ في صفحاته المشرقة بأسماء كثير منهم . وكثير من هؤلاء لم يقتصر عملهم على تعليم الطلبة وتربية العامة فحسب بل هاجروا المحاريب وحلقات الدروس إلى جبهات القتال . دفاعا عن الإسلام والمسلمين .وتحريرا للوطن من براثن الاستعمار.

---

[1] – محمد نسيب ، زوايا العلم والقرآن بالجزائر ، دار الفكر ، الجزائر 1989 ، ص33 .

الفصل الأول

زوايا العلم والتعليم والاحتلال الفرنسي

* نشأة العلم والتعليم وانتشارها في الجزائر
* سياسة الاحتلال الثقافي وتصدي الزوايا لها
* دور الزوايا في نشر العلم وتنظيماتها
* نماذج من زوايا التعليم

1- تعريف الزاوية

لعل لفظ " الزاوية " في الأصل مأخوذ من الانزواء بقصد العكوف على العبادة أو على تلقي العلم بعيدا عن دنيا الناس ومشاغلهم اليومية ، وهي أيضا رباط المجاهد في سبيل الله وحافظ الثغور. إلا أن لفظ الزوايا اليوم يعني مراكز تحفيظ القرآن وتعليم أصول الدين الإسلامي والعلم الشرعي ونشر الأخلاق والفضائل الإسلامية . وهي بذلك حصون العقيدة والإيمان ، وأماكن تختزن في صنادقها ورفوفها ذخائر التراث الإسلامي بآدابه وسجاياه الحميدة وملامحه التاريخية والوطنية .

والزاوية : هي في الأصل ركن البناء ، أطلقت على المصلى أو المسجد الصغير عند المسلمين في المشرق العربي على أن مصطلح " الزاوية " ظل في المغرب الإسلامي أكثر شمولا من ذلك ، إذ هو يطلق على بناء أو طائفة من الأبنية ذات الطابع الديني ، وهي تشبه المدرسة في تخطيطها وأجزائها ووظيفتها التعليمية .

وقد ذكر " دوماس " Daumas عام 1847 في كتابه " منطقة القبائل " تعريفا لمفهوم الزاوية بالمغرب حيث قال : " إن الزاوية هي على الجملة مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة " [1]

---

[1] - ليفي بروفنسال ، " الزوايا " دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة أحمد الشنتاوي وآخرين، المجلد 10 ، القاهرة 1933 ، ص 332 .

والظاهر أن هذا التعريف يتفـق في الجوهر وما عليه الزاوية أو ما كانت عليه في الماضي .

والزاوية تحتوي عادة على مصلى ، وغرفة قصرت على تلاوة القرآن ، ومدرسة لتحفيظ القرآن ، وتلقين علوم الـدين وقواعـد اللغة العربية ، كما تضم غرف أو مراقد لإيواء الطلبـة وضـيوف الزاوية والحجاج والمسافرين ، ويلحق بها أيضا ضريـح الـولي الصالح ، ويكون هذا الولي في الغالب هو مؤسس الزاوية ، أو أحد المرابطين بها ممن سطعت شهرته بالناحية وتجاوزت شهرة المؤسـس نفسه .

2- نشأة الزوايا بالمغرب الإسلامي والجزائر خاصة

نشأ نظام الزوايا بالمغرب الكبير بعـد القرن الخامس الهجري إذ سميت في بادئ الأمـر " بدار الكرامـة " كالتـي بنـاها الخليفـة يعقـوب المنصـور الموحـدي فـي أواخـر القرن 6 هـ/12 م بمراكـش ثـم أطلق المرينيـون على الزوايـا الـتي بنوها في عهدهـم في القـرن 7 – 8 هـ /13 – 14 م اسـم "دار الضيـف " . ومن ذلك الـزاوية الـعظيمة الـتي أسـسها السلطان أبو عنـان المرينـي خارج مـدينـة سـلا في منتصـف القرن 8 هـ / 14 م . وزاوية "سلا " في نفس التاريخ قرب مدينة الرباط التي دفن فيها السلطان أبو عنـان والـده أبـا

الحسن، وزارها لسان الدين بن الخطيب ، وخطابه فيهـا بخطبتـه الشهيرة في تاريخ الأدب العربي[1] .

على أن مصطلح " الزاوية " ظهر في المغرب حوالي القـرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) مرادفـا للربـاط ، أي الصومعة التي يعتزل فيها الولي ويعيش وسط تلاميـذه ومريديـه ، ومع ذلك فإن الزاوية ليست في جميع الأحوال مكان الرباط الـذي يخدم غرضا آخر كان له في بادئ الأمر طابع حربي ارتبط بالنشاط العسكري في المغرب الأقصى .

وجدير بنا في هذه المناسبة أن نشير إلى رواية " ابن مـرزوق التلمساني " المتوفي عام 781هـ /1379م الذي خص الفصل الثاني والأربعين من رسالته عن " أبي الحسن علي المـريني " المـسماة " المسند الصحيح الحسن " ، خصه للكلام عن الزوايا التي شيدها هذا السلطان . وقد ذكر التلمساني أن الزاويـة هـي ما يعـرف في الشـرق باسـم الربـاط أو الخانقاه[2] . وكلمة "خنقاه" كانت تطلق بصفة خاصة على المنشآت الصوفية التي يرد أصـلها بـصفة عامة إلى التصوف الإسلامي .

---

[1] – محمد نسيب ، المرجع السابق ، ص 30 .

[2] – ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 332 .

وبهذا يتضح الفرق بين الرباط بـــين الربـــاط ذي النـــشاط العسكري ، والرباط الذي اعتبـــــر الزاويـــــة ذات النـــشـــاط الدينـــي التربـــوي والتعليمي في آن واحـــد . ولا شـــك في أن الرباطات الأولى قد نمت سريعا لتصبح أماكن يفزع إليها النـــاس لتحقيق أمنهم الدنيوي إلى جانب كونها أصبحت أيـــضا مراكـــز للحياة الدينية والصوفية حيث كان التصوف شغل الفقهاء الشاغل قصد تقريبه إلى أذهان العامة وأصبحت الزوايـــا حينئـــذ مراكـــز تستهوي قلوب الناس ومدارس دينية في آن واحد ، كما أصبحت إلى حد ما دور ضيافة مجانية ، يقصدها الرحالة الذين يبحثون عن الكمال الروحي . وهذا يفسر لنا قول " ابن مرزوق " في كلامـــه عن الزوايا في زمنه : " من الواضح أن الزوايا عندنا في المغرب تأوي المتجولين وتطعم المسافرين " [1] .

ولقد ذكـــر G wet marçais أن الـــسلاطين المـــرينيين وسلاطين بني عبد الواد الذين حكموا في القـــرن الرابـــع عـــشر الميلادي، إنما قصدوا من إنشاء المدارس المغربية أن تكون اعترافـــا رسميا منهم بالمدارس الملحقة بالزوايا [2]. ولعل الأرجح أن هـــؤلاء

---

[1] – ليفي بروفنسال ، المرجع السابق ، ص 333 .

[2] – و ، ج مارسي ، " المباني العربية بتلمسان " ، دائرة المعارف الإسلامية ، المرجع السايق ، ص 333

السلاطين قد حاولوا بمنشآتهم التي أقاموها بجانب المراكز الكبرى للتعليم الديني ، وخاصة جامع القرويين بفاس ، أن يخففوا إلى حد ما من حدة المنافسة التي سببتها مدارس الزوايا في المدن وخارجها .

وتطور هذا المفهوم بعد ذلك بالمغرب العربي بأن صارت تعني مؤسسة لرؤساء الطرق الصوفية ، يجتمع فيها مريدون لذكر الأوراد ، إضافة إلى كونها مأوى لطلبة القرآن والعلم وبقية الزوار الذين يقصدونهم كما تقدم .

وهكذا تكون في الجزائر خلال القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) مجموعة من الزوايا منها ، الزاوية الثعالبية في مدينة الجزائر ، والزاوية الملارية في قسنطينة ، والزاوية السنوسية بتلمسان وغيرها كثير [1] . وكثر هذا النوع من الزوايا ابتداء من القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) بعد تغير الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في البلاد ، بمجيء الأتراك العثمانيين وبسط سلطانهم على البلاد ، ثم استمرت الزوايا في أداء دور التربية والتعليم خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر وامتد نشاطها إلى سنوات الاستقلال عام 1962.

---

[1] – أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1981 ، ص 40 .

3- انتشار الزوايا ومراكزها الكبرى عبر الجزائر

يعتبر الدكتور أبو القاسم سعد الله [1] أن من أبرز مميزات العهد العثماني في الجزائر ، انتشار الطرق الصوفية وكثرة الزوايا المخصصة لهذه الطرق والمذاهب الصوفية حيث في المدن والأرياف ، والجبال والصحاري ، عاش معظم المتصوفة يبثون عقائدهم ويلقنون أتباعهم الأذكار والأوراد ، مبتعدين عن صخب الحياة الدنيا ، مؤثرين العزلة والعبادة ، وكثيرا ما كانوا يعلمون المريدين والعامة مبادئ الدين أيضا. فإذا ما اشتهر أحدهم بين الناس أسس لنفسه مركزا يستقبل فيه الزوار والغرباء والأتباع ، ويعلم الطلبة طريقته طريقة أستاذه في الأذكار ويتبرع الناس لهذا المركز ، فيكبر ويثرى ويتضاعف قصاده ومريدوه ، ويصبح اسم المتصوف (المرابط) علما على المكان ، ويصبح المكان يدعى بين الناس : " زاوية سيدي فلان " .

ولهذه الفترة ذكر الدكتور سعد الله نفسه قائمة طويلة للزوايا أغلبها هي [2] : في مدينة الجزائر كانت زاوية عبد الرحمن الثعالبي ، وزاوية ولي دادة ، وزاوية عبد القادر الجيلالي وزاوية سيد محمد الشريف ، وزاوية سيدي أحمد بن عبد الله

---

1 - أبو قاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص 262 .

2 - نفسه ، ص 263 ... 268 .

الجزائري وزاوية سيدي الجودي ، وزاوية سيدي جمعة ، وزاوية سيدي الكتاني ، وزاوية سيدي السعدي ، وزاوية سيدي الفاسي ، وزاوية سيدي أبي التقى وزاوية سيدي يعقوب ،وزاوية سيدي أيوب ، وزاوية سيدي بوعينان ، وزاوية سيدي بوعتيقة ، وزاوية الأشراف ، وزاوية القشاش ، وزاوية سيدي عبد القادر الجزائري ، وزاوية علي الزاوي ، وزاوية القاضي المالكي ، وزاوية سعيد قدورة ، وزاوية مولاي حسن ، وزاوية شيخ البلاد وزاوية الأندلسيين ، هذه كلها في مدينة الجزائر .

وفي النواحي المجاورة لمدينة الجزائر ، كانت زاوية ابن علي مبارك بالقليعة وزاوية المربوسي بالأربعاء ،وزاويتا النملي وخير الدين ببني موسى ، وزاوية عبد بن بوناريك والدويرة ، وزاوية البركاني قرب شرشال .

وتعتبر منطقة القبائل وبجاية من أغنى مناطق الجزائر بالزوايا وأهمها في ميدان التعليم ونشر الوعي الديني بين السكان . فقد كانت زاوية تيزي راشد (وتسمى أيضا زاوية ابن اعراب) ذايعة الصيت يقصدها التلاميذ من النواحي المجاورة والبعيدة . وكانت زاوية الشيخ محمد التواتي ببجاية أيضا قد أخرجت أجيالا من المعلمين . واشتهرت بنشر التعلم أيضا زاوية الأزهري بآيت إسماعيل ، وزاوية ابن علي شريف بأقبو ، وكذلك زاوية سيدي منصور بأيت جناد وزاوية عبد الرحمن البلولي ، وزاية

أبي القاسم بوجليل ، وزاوية ابن أبي داود ، وزاوية محمد السعدي والزاوية الزروقية ، وزاوية أحمد بن يوسف .

وفي مدينة قسنطينة ، هناك : زاوية سيدي الكتاني ، وزاوية سيدي المناطقي وزاوية سيدي عبد المؤمن وزاوية سيدي مسيد وزاوية سيدي مخلوف وزاوية سيدي ميمون ، وزاوية سيدي عفان ، وزاوية سيدي راشد ، وزاوية سيدي التلمساني ، والزاوية الملارية وزاوية أولاد الفكون ، وزاوية ابن نعمون ، وزاوية رضوان خوجة وزاية أولاد جلول .

وفي نواحي قسنطينة اشتهرت زاوية بني بومسعود ، وزاوية بني مقران ، وزاويتا الشليحي ، ومعمرة (أو زاوية محمد بن يحي) الوقعتان عند أولاد عبد النور ، وزاوية مولاي الشقفة بين جيجل والقل ، وزاوية الزبوشي برجاس قرب ميلة .

وفي مدينة وهران اشتهرت زاوية محمد الهواري ، وزاوية ابراهيم التازي ، وزاوية عبد القادر بن الشريف (الدرقاوية) .

كما اشتهرت في نواحي وهران : زاوية الشيخ محمد بن علي المجاجي المعروف " ابهلول " بنواحي تنس، وزاوية القيطنة بمعسكر (وهي التي كان على رأسها الشيخ محي الدين والد الأمير عبد القادر) وزاوية مازونة .

وقد اشتهرت أيضا تلمسان ونواحيها بزواياها منها : زاوية سيدي الطيب الوزاني (أو الزاوية الطيبية) وزاوية سيدي

بومدين ، وزاوية محمد السنوسي ، وزاوية أحمد الغماري ، وزاوية سيدي

وزاوية عين الحوت ، وزاوية الشيخ محمد بن عبد الجبار المسعودي الفجيجي التلمساني بحدوش .

وفي جنوب الجزائر لعبت الزوايا دورا بالغ الأهمية في نشر الإسلام واللغة العربية ، ليس في الجزائر فقط ، بل في الأقطار المجاورة للجزائر كذلك جنوب الصحراء الكبرى ، وكونت العلماء والفقهاء وحفظة القرآن الكريم ، وهي أيضا كثيرة نقتصر على ذكر عدد منها فقط كمثال لغيرها من الزوايا التي على غرارها .

ففتي الجنوب الشرقي [1] توجد الزاوية الناصرية والزاوية الرحمانية بخنقة سيدي ناجي ، وزاوية سيدي علي بن عمر بطولقة ، وزاوية عبد الرحمن الأخضري ببنطيوس ، والزاوية المختارية بأولاد جلال ، وزاوية سيدي خالد ، وزاوية سيدي سالم بوادي سوف ، والزاوية التجانية بعين ماضي وتماسين ، وزاوية أولاد عمر موسى بمتليلي ، وزاويتا سيدي الحاج يحي وسيدي الحاج بحوص بالمنيعة .

---

[1] ـ محمد نسيب ، المرجع السابق ، ص 217 – 227 .

وفي الجنوب الغربي هناك زاوية سيدي أحمد بن موسى ببني عباس ، وزاوية سيدي عبد الله بن طمطم برقان[1]،ومجموعة زوايا توات [2] وهي : الوزانية ، والكرزازية ، والبكائية ، والبكرية .

ولكن ، قد توقف عدد كبير من الزوايا عن أداء الرسالة التربوية والاجتماعية ، منذ نهاية القرن التاسع عسر ، وذلك بسبب استيلاء الاحتلال الفرنسي على الأوقاف الإسلامية التي كانت تعتمد عليها الزوايا وتعتبر مصدر عيش لها [3] .

ويظهر من ذلك أهمية الوقف في الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية ، حيث كان الناس يميلون بأوقافهم وأفعالهم الخيرية إلى الزاوية ، فكانت الزاوية في المدينة غنية بأموالها . أما الزاوية في الريف ، فكانت لها أرض موقوفة ، يستعمل إنتاجها في تغطية أجور المدرسين ومعيشة الطلاب والزوار وعابري السبيل ، وكذلك

---

[1] - مولاي بلحميسي ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، (ش. و. ن. ت) ، الجزائر 1981 ، ص 68 – 70 .

[2] - فرج محمود فرج ، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، ديوان المطبوعات الجامعية 1984 ، ص 110 .

[3] - رابح نركي ، التعليم القومي والشخصية الوطنية (ش. و. ن. ت) ، الجزائر 1975، ص 396 – 397

الفقراء ، كما كان عادة سكان الناحية يقدمون جزءا من إنتاجهم الفلاحي سنويا للزاوية .

لذلك ، أن بقية الزوايا التي استمرت في أداء رسالتها فيما بين سنوات 1954/1900 هي تلك التي بقيت لها مصادر أو أملاك خاصة ، استطاعت بواسطتها أن تعيش ، وتواصل عملها في تعليم القرآن وعلوم الدين ، ونشر اللغة العربية . وهي أيضا التي ننقل بعضا منها في الجداول الآتية، ليس على سبيل الحصر ، وإنما كأمثلة فقط ، إذ ليس من اليسر إحصاؤها ومعرفة جميعها. وهذه الزوايا هي :

أ – زوايا الوسط الجزائري [1]

الزاويــــــــة	مقـــــــرها	الولايـــــة	مؤسســــــــها	التأســــــيس	وضعيتــــــــها
أولاد بومرداس	تيجلابين	بومـــرداس	بومرداس	ق/ 7هـــ/13م	دمرت أثناء الثورة التحريرية
سيدي عمر والشريف	سيدي داود (دلس)	بومرداس	سيدي عمر والشريف	ق/11هـــ/ 17م	أغلقت عام 1954 ثم أعيدت
سيدي محمد السعدي	أعفير (دلس)	بومرداس	....	....	خربت أثناء الثورة ثم أعيدت
الرابطة	بني عمـــــران	البويـــــرة	ابن منصور بن يحـــــي	ق/ 8هـــ/14م	خربها الاستعمار
سيدي بوعبد الله الحمامي	الحمام (الأحضرية)	البويرة	عبد القادر بن عمر الحمامي	ق/13هـــ /19م	استمرت أثناء الثورة
الشيخ ابن عـــــامر	القادرية	البويرة	....	....	استمرت أثناء التورة
بوحمامة	العيساوية (تابلاط)	المدية	سيدي محمد بن عبد الله	ق 9هـــ /15 م	استمرت أثناء الثورة
أولاد سيدي العوفي	الميهوب (تابلاط)	المدية	سيدي العوفي	ق/11هـــ/17 م	استمرت أثناء الثورة
شــــــلابي	القلب الكبير (تابلاط)	المدية	سيدي أحمد شلابي	ق/12هـــ/ 18م	استمرت أثناء الثورة
أحمد بودربالة	القادرية	البويرة	....	....	....

---

[1] محمد نسيب ، المرجع السابق ، ص 217 – 226 .

ب - زوايا منطقة زواوة [1]

اسم الزاوية	مقرها	الولاية	مؤسسها	التأسيس	وضعيتها
سيدي بهلول	عزازقة	تيزي وزو	بهلول أحمد الغبريني	ق 8هـ/14م	أغلقت عام 1956
سيدي أحمد بن إدريس	يلولة – عزازقة	تيزي وزو	أحمد بن إدريس	ق 8هـ/14م	أغلقت أثناء الثورة
سيدي عبد الرحمن البلولي	يلولة – عزازقة	تيزي وزو	عبد الرحمن البلولي	ق 11هـ / 17 م	هدمت عام 1957
سيدي عمر والحاج	بوزقان – عزازقة	تيزي وزو	عمر والحاج	805 هـ /1402م	أغلقت أثناء الثورة
سيدي أحمد بن مالك	بوزقان – عزازقة	تيزي وزو	....	ق 9هـ / 15م	استمرت بعد الثورة
تيفريت ناث أو مالك	بوزقان – عزازقة	تيزي وزو	محمد وعلي الحاج	ق 9هـ / 15م	استمرت بعد الثورة

1 – مقران يسلي ، الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل (1920- 1954) ، رسالة ماجستير . جامعة الجزائر ، سنة 1991 ،ص 69 – 71

– محمد نسيب ، المرجع السابق ، ص 217- 226 .

سيدي منصور	أزفون – عزازقة	تيزي ورو	....	ق 9هـ / 15م	استمرت بعد الثورة -
سحنون جامع الصهاريج	المقلع – عزازقة	تيزي ورو	سيدي سحنون	ق 11هـ / 17م	أغلقت أثناء الثورة
تالة مقران الصهاريج	المقلع – عزازقة	تيزي وزو	....	....	....
سيدي علي بو بكر	تيقزيرت	تيزي ورو	سيدي أبو بكر	ق 7هـ/13م	استمرت بعد الثورة
الشيخ الشريف	تيمليلين –تقزيرت	تيزي وزو	الطاهر آيت عيسى	1353 هـ / 1934م	هدمت أثناء الثورة
سيدي علي أو يحي	بني كوفي –بوغني	تيزي وزو	علي أو يحي	ق9 هـ / 15 م	هدمت عام 1958
عبد الرحمن الأزهري	آيت إسماعيل	تيزي وزو	محمد بن عبد الرحمن	1183هـ/1770 م	استمرت بعد الثورة
قساوي	ذراع الميزان	تيزي وزو	....	....	....
تازروت	ذراع الميزان	تيزي وزو	....	....	....
سيدي علي أو طالب	كوكو – عين الحمام	تيزي وزو	....	ق 10هـ / 16 م	استمرت بعد الثورة
الشيخ محمد السحنوني	الأربعاء – عين الحمام	تيزي ورو	علي بن محمد السحنوني	ق 11هـ /17 م	استمرت أثناء الثورة
سيدي أحمد أو معلم	إيفرحونان –عين الحمام	تيزي ورو	....	....	....
سيدي علي تا غالت	إيفرحونان –عين الحمام	تيزي ورو	....	....	....
سيدي موسى	إيفرحونان –عين الحمام	تيزي ورو	....	....	....
سيدي علي موسى	معاتقة	تيزي ورو	أحمدين يوسف الإدريسي	ق 7 هـ/ 13م	استمرت أثناء الثورة
تا جديوت	معاتقة	تيزي وزو	....	....	....

الشيخ البشير	معاتقة	تيزي وزو	....	....	....
آيت بو يحي	بني دوالة	تيزي وزو	بني آيت بو يحي	1936 .	أغلقت عام 1960 ثم أعيدت
اكال ابركان	بني دوالة	تيزي وزو	....	....	....
بوعاصم	تيزي وزو	تيزي وزو	....	....	استمرت أثناء الثورة
بوخالفة	تيزي وزو	تيزي وزو	....	....	....
سيدي أحمد أو السعيد	أرجان — الأربعاء إيراثن	تيزي وزو	....	....	....
بلحليل	امعالة	تيزي وزو	....	....	....
الشيخ المحفـــــوظ	امعالة	تيزي وزو	....	....	....

جـ - زوايا بجـاية ومنطقتـها [1]

الزاويـة	مقـرها	الولاية	مؤسسهـا	التأسيس	وضعيتها
سيدي أحمد أويحي أمالو	بجاية	بجاية	....	ق 9هـ / 15 م	أغلقت عام 1956
سيدي يحي أو موسى	سيدي عيش	بجاية	....	ق 7هـ/ 13م	أغلقت في 1954 ثم أعيدت بعد 1962
سيدي الحاج حساين	سيدي عيش	بجاية	....	ق 8 هـ /14م	أغلقت عام 1954
سيدي أحمد أزروق	سيدي عيش	بجاية	سيدي أحمد زروق	ق 9 هـ/15 م	أغلقت أثناء حرب التحرير
سيدي موسى تينبدار	سيدي عيش	بجاية	....	ق 10 هـ/16م	توقفت أثناء الثورة ثم أعيدت
ابن سحنون	تغراست (اغزار امقران)	بجاية	محمد السعيد امقران بن سحنون	ق 13 هـ/19م	فرع من زاوية أيت براثن
سيدي السعيد أمسيس	صدوق	بجاية	....	ق9 هـ / 15 م	توقفت من 1956 إلى 1963
سيدي يحي العدلي	تموقرة	بجاية	سيدي يحي العدلي	ق9 هـ/15 م	استمرت أثناء الثورة
سيدي سعيد	سمعون (أميزور)	بجاية	....	ق 9 هـ / 15م	أغلقت عام 1956

---

[1] محمد نسيب ، المرجع السابق ، ص 217 ، 226 .

د- زوايا الشـــرق الجزائري [1]

الزاويـــة	مقرهـــا	الولايـــة	مؤسســـها	التأسيـــس	وضعيتـــها
سيدي حسن	عين الرؤى	سطيف	سيدي حسن	624 هـ /1227 م	استمرت أثناء الثورة
الشيخ الخواس	عين والمـــان	سطيف	الشيخ الخواس	1287 هـ / 1870 م	استمرت أثناء الثورة
ثابت حليفة	العلمة	سطيف	ثابت خليفة	1301 هـ / 1883 م	استمرت أثناء الثورة
المرابط الزيتوني	عباســـة	سطيف	الشيخ الزيتوني	1323 هـ / 1905 م	استمرت أثناء الثورة
الشيخ الخفناوي	الناظور بني مزلين	قالمـــة	الشيخ عمارة بالديار	1318 هـ/ 1900 م	استمرت أثناء الثورة
الحملاوي	تلاغمـــة	ميلـــة	سيدي عبد الرحمن الحملاوي	———————	استمرت أثناء الثورة

[1] - محمد نسيب ، المرجع السابق ، ص 217 ، 226 .
- رابح تركي ، المرجع السابق ، ص 248 .

هـ - زوايا الغرب الجزائري[1]

الزاوية	مقرها	الولاية	مؤسسها	التأسيس	وضعيتها
الشيخ ابن شرقي بونجار	العطاف	عين الدفلى	الشيخ ابن شرقي بونجار	1280 هـ / 1863 م	استمرت أثناء الثورة
الشيخ مرابي	بوراشد	عين الدفلى	الشيخ مرابي بلقاسم	1298 هـ / 1880 م	استمرت أثناء الثورة
الشيخ سيدي ابن أحمد	بوراشد	عين الدفلى	سيدي أحمد	1310هـ / 1892 م	استمرت أثناء الثورة
ابن سيدي عيسى جلول	جندل	عين الدفلى	ابن سيدي عيسى جلول	1313 هـ / 1895 م	استمرت أثناء الثورة
الشيخ سيدي بلحاج بن عمر	عريب	عين الدفلى	الشيخ سيدي بلحاج	1337هـ / 1918 م	استمرت أثناء الثورة
برنارة	ثنية الأحد	تيسمسيلت	محمد بن احمد النداتي	....	هدمت أثناء الثورة
العلوي حاج الجيلالي	مستغانم	مستغانم	الشيخ مصطفى العلوي	1287 هـ / 1870م	استمرت أثناء الثورة
سيدي ابن عبد الله	معسكر	معسكر	سيدي ابن عبد الله	1267هـ /1850م	استمرت أثناء الثورة
سيدي البودالي	أولاد سيدي ابراهيم	سعيدة	سيدي البودالي عبد القادر	1277 هـ / 1860 م	استمرت أثناء التورة
المحمدية التجانية	المحمدية	بلعباس	....	1306 هـ / 1890 م	استمرت أثناء الثورة
سيدي التاج	رأس المال	بلعباس	التاج بلحرمة	1316 هـ / 1898 م	استمرت أثناء الثورة
سيدي بلال	بلعباس	بلعباس	....	1333 هـ /1914 م	استمرت أثناء الثورة

[1] - محمد نسيب ، المرجع السابق ، ص 217 – 226 .

و – زوايا الجنـــوب الجزائـــــري [1]

الزاويـــــة	مقـــــرها	الولايــــة	مؤسسها	التأسيس	وضعيتها
الهــامل	بوسعـــادة	المسيلة	محمد أبو القاسم القاسمي الحسيني	1279 هـ /1862 م	مستمرة إلى الآن
الأخضري	بنطيوس	بسكرة	عبد الرحمن الأخضري	ق 10هـ /16 م	استمرت أثناء الثورة
سيدي خالد	سيدي خالد	بسكرة	....	ق 10 هـ / 16 م	استمرت أثناء الثورة
العثمانية	طولقة	بسكرة	سيدي علي بن عمر	ق 13 هـ /19م	استمرت أثناء الثورة
الناصرية	خنقة سيدي ناجي	بسكرة	محمد بن ناصر	ق 11هـ / 17 م	استمرت أثناء الثورة
الرحمانية	خنقة سيدي ناجي	بسكرة	عبد الحفيظ بن محمد الخنقي	ق 13 هـ /19 م	استمرت أثناء الثورة
المختارية	أولاد جلال	بسكرة	المختار بن عبد الرحمن	1227 هـ / 1812 م	توقفت أثناء الثورة
القادرية	أولاد جلال	بسكرة	الشريف بن ابراهيم الهاشمي	1287 هـ /1870 م	استمرت أثناء الثورة
سيدي الصادق بلحاج	سيدي المصمودي	بسكرة	سيدي الصادق بلحاج	ق 13 هـ / 19 م	توقفت أثناء الثورة

1 – محمد نسيب ، المرجع السابق ، ص 217 ، 226 .

الشيخ مصطفى بني رمضان	لوطاية	بسكرة	مصطفى بن رمضان	1298 هـ / 1880 م	توقفت أثناء الثورة
سيدي سالم	الوادي	وادي سوف	الشيخ سيدي سالم	1210 هـ / 1800 م	استمرت أثناء الثورة
عين ماضي	عين ماضي	الأغواط	أبو العباس احمد التجاني	ق 13 هـ / 19 م	مستمرة إلى الآن
التجانية	تماسين (تقرت)	ورقلة	....	ق 13 هـ / 19 م	استمرت أثناء الثورة
سيدي الحاج يحي	المنيعة	غرداية	سيدي الحاج يحي	ق 10 هـ / 16 م	استمرت أثناء الثورة
سيدي الحاج بحوص	المنيعة	غرداية	سيدي الحاج بحوص	ق 10 هـ / 16 م	استمرت أثناء الثورة
أولاد عمر موسى	متليلي	غرداية	سيدي الزغم	ق 10هـ / 16 م	استمرت أثناء الثورة
سيدي موسى المقبض	متليلي	غرداية	سيدي موسى المقبض	1318 هـ / 1900 م	استمرت أثناء الثورة
سيد احمد بن موسى	بني عباس	بشار	....	ق 11 هـ / 17 م	استمرت أثناء الثورة
بلعمش	تندوف	تندوف	محمد المختار بن الأعمش	1270هـ/ 1862 م	استمرت أثناء الثورة
زلوذ	جانت	إيليزي	مختار بن قناناي	1342 هـ / 1923 م	استمرت أثناء الثورة
جاهيل	جانت	إيليزي	أبو ناصر	1358 هـ / 1939 م	استمرت أثناء الثورة

ز- زوايا توات وإقليمها [1]

الزاوية	مقرها	الولاية	مؤسسها	التأسيس	وضعيتها
تسفاوت	تميمون	أدرار	سيدي موسى والمسعود	ق 9 هـ /15 م	استمرت بعد الثورة
سيدي الحاج بالقاسم	تميمون	أدرار	س-يدي الحاج بالقاسم	ق 10 هـ /16 م	استمرت بعد الثورة
تمصلح	تميمون	أدرار	سيدي الحاج بو امحمد	ق 11 هـ /17 م	استمرت بعد التورة
بدرياں	كرارة – القورارة	أدرار	الحاج الصوفي بن الحاج بن محمد	ق 11 هـ /17 م	استمرت بعد الثورة
سيدي عمر	أوقروت – القورارة	أدرار	سيدي عمر بن صالح	ق 11 هـ /17 م	استمرت بعد الثورة
أولاد وشن	تيمي – توات	أدرار	مولاي سليمان بن علي	ق 7 هـ /13 م	استمرت بعد الثورة
بوعلي	توات	أدرار	محمد بن عبد الكريم المغيلي	ق 9 هـ /15 م	استمرت بعد التورة
سيدي حيدة	توات	أدرار	سيدي احمد بن عبد الله	....	استمرت بعد التورة

1- جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية بأدرار ، في ملتقى أيام 14- 15- 16 ماي 1998 بالمركز الثقافي في مدينة أدرار .

زاحلوا	توات	أدرار	سيدي علي بن حنيي	ق 11هـ / 17 م	استمرت بعد الثورة
امراقن	توات	أدرار	سيدي محمد السالم بن عبد القادر	ق 11 هـ / 17 م	استمرت بعد الثورة
سيدي عبد القادر	تمنطيط – توات	أدرار	سيدي عبد القادر بن عمر	ق 11 هـ / 17 م	استمرت بعد الثورة
الشيخ	بودة – توات	أدرار	سيدي امحمد بن عمر البداوي	ق 11 هـ / 17 م	استمرت بعد الثورة
كنته	توات	أدرار	سيدي أحمد بن محمد الرقادي	ق 11 هـ / 17 م	استمرت بعد الثورة
رقاد	توات	أدرار	مولاي عبد الله الرقاني	ق 11 هـ / 17 م	استمرت بعد الثورة
تنيلان	تيمي – توات	أدرار	سيدي احمد بن يوسف	ق 11 هـ / 17 م	استمرت بعد الثورة
البكرية	تيمي – توات	أدرار	سيدي البكري بن عبد الكريم	ق 12 هـ / 18 م	استمرت بعد الثورة
مهدية	تيمي – توات	أدرار	سيدي عمر بن عبد الرحمن	ق 12 هـ / 18 م	استمرت بعد الثورة
مولاي هيبة	تيديكلت	أدرار	سيدي أبي الأنوار بن عبد الكريم	ق 12 هـ / 18 م	استمرت بعد الثورة
بونعامة	قبلي – تيديكلت	أدرار	سيدي امحمد بونعامة	ق 12 هـ / 18 م	استمرت بعد الثورة

4- سياسة الاحتلال الثقافي وتصدي الزوايا لها

لقد حارب الاستعمار الفرنسي في الجزائر الثقافة الوطنية ، ولما كانت اللغة العربية هي وعاء هذه الثقافة ، فقد ركز الاحتلال حربه عليها ، لأنه متى تم القضاء عليها يمكن القضاء على الشخصية الجزائرية ، وتنفيذا لهذه السياسة ، قام الاحتلال بمطاردة اللغة العربية في كل مجالات الحياة بالجزائر ، فأبعدها عن الإدارة ، وعن المدارس النظامية ، حيث أصبحت اللغة الفرنسية هي لغة العمل الرسمي ، والتعليم النظامي ، ولغة وسائل الإعلام ، ومختلف النشاطات الثقافية . وتماشيا مع سياسة الفرنسة والإدماج حاول الاحتلال أيضا القضاء على معظم مراكز الإشعاع الثقافية العربية الإسلامية التي تتمثل في المدارس والجوامع والزوايا ، التي كانت قائمة في البلاد آنذاك فحول بعضها إلى معاهد للثقافة الفرنسية ، وسلم بعضها الأخر إلى الهيئات التبشيرية المسيحية التي اتخذته مراكز لنشاطها المستهدف هدم عقيدة الجزائريين المسلمين كما قام بهدم البعض الأخر تماما . فقد ذكر د. رابح تركي على سبيل المثال : أنه " كان في مدينة قسنطينة قبل احتلالها عام

1837 ، ثمانون مدرسة ، وسبعة معاهد ، وثلاثمائة مدرسة وزاوية في منطقتها، لم يبق منها بعد الاحتلال سوى ثلاثين مدرسة فقط"[1].

وقد نهب الاحتلال التراث الثقافي العربي الإسلامي الذي عثر عليه في المكتبات الجزائرية ، مثل المخطوطات والوثائق والكتب ، هذا فضلا عن المكتبات والكتب الأخرى التي أحرقها أو بعثرها ، كما فعل بمكتبة الأمير عبد القادر ، قائد المقاومة الجزائرية . واستولى الاستعمار على الأوقاف الإسلامية للزوايا التي كانت تقوم بالإنفاق على التعليم والثقافة والشؤون الاجتماعية للمسلمين. وحارب الاحتلال حركة التعليم العربي الحر حربا لا هوادة فيها ، فوضع شروطا قاسية لإعطاء رخص التعليم للمعلمين الذين أوذوا وسجنوا ، واضطهدوا [2].

كما قام هذا الاحتلال بمحاربة النوادي الإسلامية والصحافة الوطنية باعتبارها من وسائل الثقافة العربية الإسلامية .ورغم كل ذلك كله فقد استطاعت بعض الزوايا البسيطة الباقية أن تنجح في التصدي لسياسة الاحتلال الثقافي وأن تحافظ على الثقافة العربية الإسلامية كما سيأتي في الدور التعليمي للزوايا .

---

[1] - رابح تركي ، المرجع السابق ، ص 93

[2] - محمد نسيب ، المرجع السابق ، ص 45- 46 .

أ- سياسة الفرنسة والتصدي لها بالمحافظة على اللغة العربية

إن محاولة فرض الفرنسية على الجزائريين من طرف الاستعمار، هي التي تفسر تلك الحرب الضارية التي شنتها على اللغة العربية وثقافتها ، والواقع أن سياسة الفرنسية الشاملة التي سار عليها الاحتلال في التعليم بالنسبة للجزائريين ، لم تقتصر على ميدان التعليم في مختلف مراحله . من مناهج ونظم ، وكتب ، ولغة تدريس ، وإدارة تعليمية ، وتوجيه عام فحسب ، ولكنها شملت كل مجالات الحياة الاجتماعية ، والثقافية والإدارية في البلاد [1] .

وكان الهدف منها هو محاولة صبغ البلاد ، بصبغة فرنسية خالصة في كل صغيرة وكبيرة ، حتى تنقطع جميع الروابط ، التي تربط الجزائر ، ماضيا وحاضرا ومستقبلا بثقافتها ولغتها العربية، وتاريخها الإسلامي ، وانتمائها الحضاري إلى الأمة العربية ، وحتى تنشأ الأجيال الجزائرية الصاعدة ، في ظل هذه السياسة المرسومة ، نشأة ممسوخة في كل شيء ومقطوعة من جذورها الأصلية لأنه لا يوجد شيء في الحياة العامة بالجزائر ، يذكرها بماضي الأسلاف

---

[1] - رابح تركي ، المرجع السابق ، ص 105 .

والوطن، وبذلك تصبح اسهل انقيادا للسياسة الفرنسية ، وأكثـر تقبلا لنتائجها وعواقبها الوخيمة على الشخصية الوطنية الجزائرية ، وبصفة عامة يمكن إجمال الخطـوات العامـة لسياسـة فرنسا في التعليم والثقافة في الأمور التالية:

- محاربة اللغة العربية ، والثقافة العربية محاربة عنيفة .

- فرنسة التعليم في جميع المراحل .

- محاولة تشويه تاريخ الجزائر في ظل العروبة والإسلام .

-عدم تدريس جغرافية الجزائر للجزائريين ، والاستعاضة عنها بجغرافيـة فرنسا .

وباعتبار أن اللغة العربية ، هي لسان الإسلام ، وانتماء ثقافي وحضاري ومقوم للشخصية الوطنية الرافضة للاستعمار ، ولما كان هدف التعليم بالزوايـا عن قصد أو غير قصد - يتمثل في المحافظة على مقومات الشخصية الوطنية ورفض سياسة الفرنسة التي سـار عليها الاحتلال في الجزائر ، لذلك اتجه التعليم اتجاها لغويا ودينيـا بصورة رئيسية ، لأن القضية الأساسية التي أصبحت الشغل الشاغل للمجتمع الجزائري يومئذ هي ضرورة الوقوف في وجـه سياسـة الاحتلال الراميـة إلى القضاء على مقومات الشخصية الوطنية بكل الوسائل الممكنة .

ومن هنا يمكن القول ، أن تعليم الزوايا قد نجح نجاحا كبيرا في تحقيق هذا المقوم الأساسي من مقومات الشخصية الجزائرية ، وهو المحافظة على اللغة العربية وتعليم مختلف فنونها من نحو وصرف وبلاغة وأدب ، ونشرها بين أبناء الجزائر ، لا سيما في المناطق الريفية . تلك هي المواد الأساسية لبرامج التعليم في الزوايا إلى جانب تحفيظ القرآن والأحاديث .

ب- سياسة التنصير والتصدي لها بالمحافظة على الدين الإسلامي

يعتبر التنصير محاولة لإخراج الجزائريين من دينهم الإسلامي، وإدخالهم في دين النصرانية كي يصبحوا مسيحيين يحملون عقيدة المحتل لبلادهم . وهذا يعني إحلال الديانة المسيحية محل الديانة الإسلامية في الجزائر ، حتى ينهار مقوم آخر من مقومات الشخصية الوطنية ، وهو " الإسلام " . وقد تجلت سياسة تنصير الجزائريين ، في أن فرنسا صرحت غداة احتلالها لعاصمة البلاد عام (1830) بأن من جملة أهدافها ، من وراء عملية غزو الجزائر العمل على نشر المسيحية فيها ، والقضاء على الإسلام ، وهو ما أكده كاتب الحاكم الفرنسي العام للجزائر عام 1832 ، فقال : " إن أخر أيام الإسلام قد دنت ، وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح ، ونحن إذا أمكننا أن نشك في أن هذه

الأرض تملكها فرنسا ، فلا يمكننا أن نشك على أي حال ، بأنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد . أما العرب فلن يكونوا رعايا لفرنسا إلا إذا أصبحوا مسيحيين جميعا "[1]

وقد أعاد المحتلون تأكيد هذه السياسة في مناسبات عديدة ، منها أثناء احتفالهم سنة 1930 بمرور مائة عام على احتلال الجزائر ، حيث قالوا :" إن المغزى الحقيقي من وراء إقامة هذه الاحتفالات ، إنما هو تشييع جنازة الإسلام في الجزائر "[2] .

ورغم أن فرنسا دولة ((لائكية)) أي علمانية ، كما ينص دستورها ، إلا أنها في الجزائر احتضنت سياسة تبشيرية واسعة النطاق لتنصير الجزائريين ، وتعاونت تعاونا كبيرا مع الهيئات التبشيرية المسيحية من مختلف أنحاء العالم ، من أجل القضاء على الإسلام ، الذي وقف حجر عثرة في طريق محاولاتها لتحطيم مقومات الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية . وقد دعمت الحكومات الفرنسية المتعاقبة رجال الدين النصارى ، بالمال ،

---

[1] – عمر فروخ ومصطفى الخالدي ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، بيروت 1953 .

[2] - محمد البشير الإبراهيمي ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة عدد 21 ، 1966 ، ص 147 .

والتأييد الأدبي ، كي يتمكنوا من الترويج للنصرانية في الجزائر، والقضاء على الإسلام فيها .

ويوضح ذلك أن شؤون الدين الإسلامي ، ظلت منذ بداية الاحتلال عام 1830 حتى خروج الاستعمار الفرنسي من الجزائر عام 1962 خاضعة للسيطرة الاستعمارية كما أن فرنسا بادرت ، منذ الأيام الأولى للاحتلال ، إلى الاستيلاء على أوقاف الدين الإسلامي وإلى تحويل عدد كبير من مساجد وجوامع الجزائر، إلى كنائس لغرض التنصير [1] ، رغم معارضة الجزائريين لذلك ومقاومتهم الشديدة لهذا الاعتداء على حرمات الإسلام ومقدساته .

وحيث أن الزوايا كانت تعتبر حصونا للعقيدة والإيمان ، ومراكز لتحفيظ القرآن ، وتعليم الدين فقد ركزت أيضا على تعليم اللغة العربية بهدف تعليم الدين ونشره ، وفهم القرآن وما يتصل به من علوم التشريع والأخلاق والعقائد والتفسير والحديث وإلى غير ذلك من علوم الدين واللغة ، وبذلك عملت الزوايا على الابقاء على مبادئ الشخصية العربية الإسلامية ، ومقاومة سياسة

---

[1] – رابح تركي ، المرجع السابق ، ص 108 .

التنصيـر ، وساهمـت في حماية المجتمع من الذوبان في ثقافة المحتل وعقيدته .

ج- سياسة الإدماج والتصدي لها بالمحافظة على الـروابط العربية الإسلامية

تعني سياسة الإدماج إذابة الجزائريين في الكيان الفرنسي العام وبذلك لن تقوم للجزائر كجزء لا يتجزأ من العالم العربي الإسلامي قائمة في يوم من الأيام بعد أن ينسلخ الجزائريون من دينهم ولغتهم وجنسيتهم ، وبالتالي من حضارتهم العربيـة الإسـلامية ويجتثـوا اجتثاثا، كما وقـع للعرب المسلمين في الأندلس منذ قـرون .

فقد كانت سياسة الاحتلال منذ البدايـة تخطـط لـدمج الجزائـر فـي فرنسا عن طريق ربطـها سياسيا وإداريا بفرنسا، وهضمها ثقافيـا وروحيـا ولغويـا في الشخـصية الفرنـسية، وبذلك يتم القضاء على الشخصيـة الجزائريـة تدريجيـا، حـتى تذوب نهائيـا في الشخصية الفرنسية .

ورغـم أن سياسـة فرنسا التعليميـة فـي الجزائـر قـد قامـت على ثلاث ركائـز : هي الفرنسة والتنصير والإدمـاج ، إلى أنها في التطبيق العملي لم تفتح أبواب التعليم الفرنسي في وجـه الجزائريين إلا في نطاق محدود جـدا على خلاف ما يقتضيه منطق الإدماج ، وذلك لأن المستعمرين كـانوا يـرون " أن الأعـداء

المستنيرين اخطر عليهم من الأعداء الذين يعيشون في حالة من الهمجية "[1] ، وهذا عامل مهم في تمتين روابط المجتمع بالزوايا والتعليم العربي فيها .

وكذلك المحافظة على الثقافة العربية الإسلامية . فقد حققت الزوايا من هذه الناحية نجاحا كبيرا ، في الإبقاء على الروابط الثقافية والحضارية ، بين الجزائر والعالم العربي الإسلامي . وبذلك ساهمت الزوايا في القضاء على سياسة الاستعمار ، التي تهدف إلى ربط الجزائر بثقافة فرنسا وحضارتها ، وأفشلت مرة أخرى سياسة الإدماج الفرنسي .

ومن هنا يتبين أن سياسة فرنسا الإحتلالية ، قد بنيت منذ البداية على أساس القضاء على اللغة العربية والثقافة الإسلامية ، والعمل على محاولة تحويل المجتمع الجزائري ، في المدى البعيد من مجتمع مناهض للاستعمار ، إلى مجتمع راض على الوضع الاستعماري لبلاده ، ولديه القابلية للفرنسة والإدماج في مجتمع دولة الاحتلال ، بذلك تتمكن دولة الاحتلال من السيطرة المطلقة والدائمة على الجزائر والجزائريين .

---

[1] رابح تركي ، المرجع السابق ، ص 112 .

كما يتأكد أن الزوايا لم تكن دائما مراكز لنشر التخلف كما يروج لها أحيانا و لم يكن التعليم بها جامدا دائما ، بل استطاعت أن تقاوم المسخ الاستعماري وبذلك حافظت على المقومات الأساسية للشخصية الوطنية الجزائرية ، وعملت على الإبقاء على اللغة العربية والثقافة الإسلامية خلال فترة الاحتلال ، وساهمت كذلك في الإبقاء على الروابط الثقافية والحضارية بين الجزائر والعالم العربي الإسلامي. كما ساهمت في القضاء على الاتجاهات المنحرفة، تلك الاتجاهات التي كانت تحاول ربط الجزائر بفرنسا وثقافتها وحضارتها ، ودمج الجزائر في الكيان الفرنسي العام، وسيذكر التاريخ هذا الفضل للزوايا وعلمائها إلى أخر الدهر .

5- دور الزوايا في نشر العلم

تعتبر الزوايا ، كما أسلفنا ، مراكز العلم والثقافة العربية الإسلامية بالجزائر ، ومأوى الطرق الصوفية والنشاط الديني خاصة، كما كانت أيضا مدارس وملاجئ وبيوتا للعمل الخيري ، ولكنها اختصت أكثر بتحفيظ القرآن ، وتعليم ما يستلزمه من العلوم اللغوية والشرعية والتاريخية .

وفي هذا المجال ، يقول أحمد توفيق المدني : " لبعض الطرق الصوفية بقطرنا هذا (الجزائر) مزية تاريخية لا يستطيع أن

ينكرها حتى المكابر ، تلك هي أنها استطاعــت أن تحفظ الإسلام بهذه البلاد في عصور الجهل و الظلمات ، وعمل رجالها العــاملون الأولون على تأسيس الزوايا ،يرجعون فيها الــضالين إلى ســواء السبيل ويقومون بتعليم الناشئين ، وبث العلم في صدور الرجال ، ولولا تلك الجهود العظيمة التي بذلوها ، والتي نقف أمامها موقف المعترف المعجب لما كنا نجد الساعــة فــي بلادنا أثرا للعربيـــة ولا لعلــوم الديــن " [1] . وشــأن الزوايـــا في جنــــوب الجزائر ، لقد لعب دورا بالغ الأهمية في نشر الإسلام واللغة العربية ، حتى في الأقطار المجاورة للجزائر ، جنوب الصحراء الكبرى وتخرج منها العلماء والفقهاء وحفظة القرآن الكريم [2] .

كما قال :"د. عبد الله ركيبي " : ((بقي نوع أخــر مــن التعليم وهو الخاص بالزوايا ، والذي يرجع إليه الفضل في الحفــاظ على اللغة العربية وعلومها ، وهو تعليم كان يسير علــى المنــاهج القديمة التي تعطي الأولويــة لعلــوم اللسان والديـــن (.....)

---

[1] - أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، دار الكتاب / دار المعارف1963 ، ص 350 – 351 .

[2] - محمد علي دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ، مطبعة التعاون دمشق 1965 ،ج1 ، ص49- 50

وتتلخص طرق هذت النوع من التعليم في تحفيظ القرآن وقراءته ثم حفظ المتون — متون النحو والصرف والفقه والتوحيد)) [1] .

والزوايا من هذه الناحية تعتبر مدارس ابتدائية ، وثانوية ، ومعاهد علمية عالية في آن واحد ، فكانت إلى عهد قريب من المراكز الهامة التي حفظت اللغة العربية ، والثقافة الإسلامية من الاندثار في الجزائر خاصة خلال فترة الاحتلال الطويلة 1830 – 1962 [2] . وقد ذكر ،" د. أبو القاسم سعد الله " أن الزاوية الناصرية ، بجامعها الكبير ومدرستها ، بخنقة سيدي ناجي قد أشعت على الناحية بالعلم والمعرفة طيلة قرنين أو يزيد . وكانت موئل علماء الزاب والصحراء والأوراس وقسنطينة و زواوة ، بل وتونس وطرابلس أيضا ، وكانت المدرسة بها حين زارها الدكتور سعد الله وهي ما تزال قائمة ، تحتوي على خمسة عشرة غرفة ، وتضم كل غرفة خمسة إلى عشرة طلاب ، وذكر د. سعد الله أنه في إحدى هذه الغرف درس الشيخ المرحوم أحمد السرحاني تلميذ

---

[1] – عبد الله ركيبي ، الشعر الديني الجزائري الحديث ، الجزائر ، (ش. و. ن. ت) 1981، ص 30

[2] – رابح تركي ، المرجع السابق ، ص 245 .

ابن باديس ، وقد قيـــل أن من طلباها أيضا الشيخ المرحوم العربي التبسي [1] .

وفي منطقة زواوة ، ذكر " أمقران يسلي " في رسالته الجامعية عـــن الزوايـــا في بلاد القبائل [2] ، أن الطلبة كانوا يطلبون القرآن في الزاوية الأم " زاوية الشيخ عبد الرحمن اليلولي " . أما الفقـــه ، فكانوا يدرسونه في الزوايا الأخرى ، كزاوية " تيفريت نايـــت الحـــاج " . وهذا يدل على وجود تخصص في علم بعينـــه عنـــد بعض الزوايا ، يتولى تدريسه علماء متخصصون أيضا ، ومن هؤلاء : الشيخ الشريف الإفليسي، الفقيه المالكي الذي قـضى في هـــذه الزاوية ثلاثة عشر سنة مدرسا ووا عـــضا ، والـــشيخ الـــسعيـــد الزلالـــي المعروف بتضلعه فـــي الفقـــه أيضا ، ثم الشيخ الـــسعيد اليجوري ، النحوي الذي لقبه الأستاذ بن باديس بشباب الشيوخ ، ثم الشيخ محمد الطاهر بن الشيخ الجنادي الذي انتقل مـــن هـــذه الزاوية سنة 1282 هـــ / 1882م إلى تونس ، وهناك عينه بعـــض الأعيان شيخا ومربيا لأولاده ، وقام بالمهمة أحـــسن قيـــام إلى أن توفي هناك . ثم الشيخ أفطر الفقيه القرآني وكان خطاطا بارعا نسخ

---

[1] - أبو قاسم سعد الله ، تجارب في الأدب والرحلة ، المؤســـسة الوطنيـــة للكتاب ، الجزائر ، 1983، ص 261

[2] - مقران يسلي ، المرجع السابق ، ص 80 – 81 .

تسعا وتسعين مصحفا بخط يده ، ثم الشيخ أبو القاسم البـــوجليلي الذي كان مدرسا في زاوية الشيخ عبد الرحمن اليلـــولي ، وأحـــد مؤسسيـــها ،والشيخ الحاج عمرو أو فضة أحد تلامذة الشيخ عبد الرحمن والشيخ علي أو الخيار ، ثم الشيخ محمد الطيب الأقروبيسي، والشيخ الرزقي الشرفاوي الأزهري ، الذي انتصب للتـــدريس في هذه الزاوية خلال الثلاثينيات من هذا القـــرن .فهذه وفـــرة مـــن العلماء كانوا جميعهم مدرسين بالزاويتين المذكورتين .

وفي عهد الشيخ محمد الطاهر بن الشيخ الشريف الجنـــادي عرفت زاوية سيدي " اليلولي " تطورا ملحوظا تمثـــل في تهـــذيب أساليب التدريس بها ، فكانت بذلك قبلة للطـــلاب والعلمـــاء ، ولذلك فإن ما يقال عن التعليم الباديسي بالجامع الأخضر في مدينة قسنطينة ، يمكن أن يقال أيضا عن هذه الزاوية ، بحيث كان التعليم فيها متطورا ومنظما ، مسايرا لنظام التعليم في بعـــض الجامعـــات الإسلامية .

وذكر " فرج محمود فرج " في أطروحته " إقليم توات "[1] ، أن بعض فقهاء توات ، كانوا يبنون الزوايا ويتخـــذونها أمـــاكن للخلوة والتعبد ، إلى جانب تخصيص أجزاء منها للتدريس ، وكان

[1] فرج محمود فرج ، المرجع السابق ، ص 87 – 89 .

الكثير من الطلبة الذين يرغبون في مواصلة تعليمهم ، يقصدون المشايخ بتلك الناحية للتعلم على أيديهم ، وبعد أن تنقضي مدة الدراسة والتحصيل يمنحونهم الإجازات العلمية والأدبية ، بعد ملازمتهم إياهم زمنا طويلا ، وإطلاعهم على أمهات الكتب التي تتعلق بآداب الدين وأسباب التزيل ،والفقه والتفسير وغيرها ، بجانب ما يأخذونه عن شيوخهم من شتى العلوم المعقولة والمنقولة . ومن هؤلاء الطلبة من سافر إلى الخارج أيضا للحصول على الإجازات العلمية والأدبية الرفيعة من كبار العلماء في الأقطار العربية الأخرى ثم عاد بعضهم إلى توات ، بعد أن أصبح من كبار العلماء ، الذين تولوا مناصب القضاء والإفتاء والتدريس بالإقليم التواتي .

فهذه إذن نظرة سريعة على ما كانت تختص به الزوايا من التعليم العالي الذي لا يقتصر على حفظ القرآن الكريم واستظهاره ، بل يتعداه إلى مدارسة علومه وآدابه وأسباب نزوله وإلى العلوم الشرعية الكثيرة بقصد التفقه في الدين .

6- تنظيمات الزوايا

أ- موارد الزوايا

من عادة الطلبة أنهم لا يدرسون في مدنهم أو جهاتهم ، بل يتعدون عن مواطنهم فيقصدون الزوايا البعيدة التي اشتهر فيها

بعض المدرسين ، أو اشتهرت هي بأنها قد أخرجت عددا من العلماء [1] . ثم إن معظم هؤلاء الطلبة يعدون السفر في طلب العلم جهادا وعبادة يتقربون بها لله عز وجل ، ولهذا كثرت الرحلة في طلب العلم .

ففي إقليم توات بالصحراء الجزائرية ، كان يلحق ببعض الزوايا أماكن لإقامة الطلبة ، الذين يأتون من هنا وهناك لتلقي العلم، ومع كل منهم مؤونته من القمح والشعير والتمر والحطب أو على الأقل ما يكفيه بعض الوقت ، إلى أن يأتيه بعد ذلك مدد آخر من المؤونة من أسرته ، وهكذا معيشة الطالب حتى نهاية المرحلة الدراسية ، وفي نفس الوقت ، كان على ولي أمر كل طالب أن يدفع مصاريف تعليم ابنه لفقيه الزاوية . أما بالنسبة للطلبة الفقراء ، فكانوا يمنحون منحا دراسية من ريع الأملاك الموقوفة التي أوقفها الأثرياء من التواتيين في سبيل الله ، مما كان له أفضل الأثر في مساعدة الكثير من الطلبة الفقراء الذين يعجزون عن مواصلة دراستهم لأسباب مادية [2] .

---

[1] ـ أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 348 .

[2] ـ فرج محمود فرج ، المرجع السابق ، ص 87 .

أما في المناطق الشمالية من الجزائر ، فتعتمد الزوايا من ناحية التمويل على التبرعات ، التي تتلقاها من السكان ، على اختلاف أنواع هذه التبرعات كما تعتمد على الزكاة ، والأوقاف التي يوقفها عليها أهل البر والإحسان ، ولا تتلقى أية مساعدة من حكومة الاحتلال من أي نوع كانت [1] .

وفي منطقة القبائل ، تعتمد الزوايا في تمويلها على المساعدات التي يقدمها المحسنون من الأغنياء ، في شكل نقودا أو بضائع أو مواد غذائية كالحبوب والزيت أو الزيتون والحيوانات والأدوات والألبسة والمفروشات ، وغيرها . ذلك بالإضافة إلى الأوقاف الإسلامية ، التي يوقفها الناس عليها ، وتتمثل في الأراضي الزراعية وحقول الأشجار المثمرة ، والغلال كالتين والزيتون والخروب، والمحلات التجارية ، والحمامات المعدنية في الأرياف [2] .وكان طلبة الزوايا يتولون فلاحة أراضي الزاوية هذه بأنفسهم ويجنون الثمار لصالح الزاوية ويستغلون ملكية الزاوية التي منها يعيشون أثناء الدراسة بها .

[1] - رابح تركي ، المرجع السابق ، ص 310 .

[2] - يحي بوعزيز ، أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرنين 19 و 20 " مجلة الثقافة " عدد 63 ، السنة 11 ، ماي / جوان 1981 ، ص 23 .

هذه الأوقاف تزود الزوايا بالمواد والأموال اللازمة لاحتياجاتها المختلفة . كالتغذية والإنارة والتنظيف والتبييض والتأثيث والصيانة ، والإنفاق على الطلبة ومعيشتهم ، وتغطية أجور المشايخ العاملين بالزاوية . وللزاوية مصدر تمويل آخر يتمثل في عوائد الزيارات والوعود والنذور التي يقدمها الزوار ، من الإخوان والأتباع والمريدين ، على شكل نقود وبضائع ومواد غذائية متنوعة وألبسة .

وتختلف كمية العائدات على كل زاوية ومقاديرها وأنواعها ، حسب اختلاف أهمية الزائرين ، ومصادر أموالهم وثرواتهم ، ومدى تقديرهم للزيارة ، وللزاوية والشيخ العامل بها —وهذه الظاهرة لا تختص بها فقط منطقة القبائل ، بل موجودة ومنتشرة في أغلب جهات الجزائر — و السبب في ذلك يعود إلى قوة تأثير الزاوية الروحي وشيخها على العامة . وكثيرا ما كانت تبعث هذه الزوايا وفودا من طلبتها وتلاميذها والمشرفين عليها إلى القرى المجاورة ، وأحيانا إلى منطقة أخرى بعيدة ، لجمع أموال الصدقات والزيارات وخاصة في مواسم معينة ،مثل موسم جني الزيتون في

الشتاء ، وموسم جني الحبوب في الصيف ، وموسم إخراج الزكاة في مناسبتي عاشورا والمولد النبوي الشريف [1] .

فالزاوية لها أهمية كبيرة ، بالنسبة لسكان الناحيـــة ، وذلـــك يعود بالدرجة الأولى إلى دورها الديني والثقافي الذي تضطلع بـــه ، وبفضل هذه الأموال والهبات المتنوعة التي تجود بها أيدي المـــؤمنين المحسنين ، تتولى هذه المؤسسات الدينية والثقافية الإنفاق على طلبة العلم ، والقائمين عليها كما تتولى أيضا إطعام الفقراء والمـــساكين وأبناء السبيل [2] .

وذكر " د . أبو القاسم سعد الله " [3] أن الوقف يعتبر من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية . فهو أساسا يعبر عـــن إرادة الخـــير في الإنسان المسلم وعن إحساسه العميـــق بالتـــضامن مـــع المجتمـــع الإسلامي.

ويقوم الوقف على مبدأ شرعي وصبغة قـــضائية ملزمـــة ، فالقاضي عادة هو الذي يقوم بتحرير الوقف يكتبه بصيغة معينـــة ،

---

[1] - سعيد بن الزكري الجنادي الزواوي ، أوضح دلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل ، مطبعة فونتانة ، الجزائر 1903، ص 73 .

[2] - مقران يسلي ، المرجع السابق ، ص 76 – 78 .

[3] - أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع الـــسابق ، ج 1 ، ص 229 – 233 .

وبحضور الواقف والشهود ، مع تحديد قيمة الوقف ، وتعيين أغراضه ، وكيفية الاستفادة منه ، وانتقاله ، وعوامل نموه ، وتخصيص المشرفين عليه وشروطهم ، مع ذكر تاريخ الوقف وتوقيع الحاضرين والقاضي . فللوقف إذن وثيقة شرعية ، يستند عليها ويلتزم باحترامها الواقف وأهله والمستفيدون منه وكذلك السلطة المسلمة الشرعية .

وأنواع الوقف كثيرة ، فهناك من يوقف عقارا من أرض أو دكان أو دار أو نحو ذلك ، وبعضهم كان يوقف عينا أو بئرا لأبناء السبيل ، ومن يوقف غلة حقل من الحقول ، أو غلة مجموعة من الأشجار دون أرضها وهلم جرا ...

ويستعمل الوقف في أغراض كثيرة ، منها العناية بالعلم والعلماء والطلبة الفقراء ، والعجزة واليتامى وأبناء السبيل ، ومن أهم أغراضه العناية بالمساجد والمدارس والزوايا والأضرحة والقيام عليها .

ويظهر من ذلك أهمية الوقف في الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية ، فهو مصدر العيش لطلاب الزوايا وعمارة المساجد ، وغيرهما من المؤسسات الدينية ، ومن جهة أخرى لعب الوقف دورا بارزا في الحياة الاجتماعية ، بتضامن المجتمع وترابطه ، وتوزيع ثرواته على فقرائه والعجزة منه .

والواقفون في الجزائر لا حصر لهم ، بجنس أو طبقة أو مذهب، لذلك يوجد فيهم الرجل والمرأة . ولعل الفرق بين واقف وأخر هو النية الحسنة والثروة . والفقراء قلما يوقفون ، لأنهم أنفسهم كانوا في حاجة إلى مداخيل الوقف ، وهكذا كاد الوقف ينحصر في طبقة الأغنياء ومتوسطي الحال .والوازع وراء الوقف عند هؤلاء جميعا ، هو وازع الخير والحماس للدين وخدمة العلم ، وإصلاح المجتمع . وأحيانا كان الوازع هو السمعة الطيبة والرغبة في الخلود والذكر الحسن في الحياة أو بعد الممات ، وقد كان الوازع أحيانا أخرى ماديا ، كابعاد الثروة عن بعض الورثة ، أو الاحتفاظ بها تحت اسم الوقف . حتى لا تؤول إلى الدولة التي كانت تستولي على الأملاك التي لا ورثة لها . وفي هذا السياق قال الدكتور " رابح تركي " : ((من المعروف أن التعليم العربي الإسلامي ، كان قبل الاحتلال يعتمد في بقائه ، وازدهاره ، على الأوقاف الإسلامية ، التي كانت من الكثرة والثروة ، بحيث يكفي دخلها للإنفاق عليه بسخاء كبير . وكانت الجزائر من أغنى الأوطان الإسلامية ، بالأوقاف قبل الاحتلال . وكان في مدينة الجزائر وحدها ثمانية آلاف عقار، تابعة للأوقاف الإسلامية، لم يبق منها عقار واحد، بعد دخول الاحتلال إلى الجزائر سنة 1830 . لأنه صادرها جميعا منذ الأيام الأولى . ومنذ ذلك الوقت أصبح

التعليم العربي يعتمد في بقائه ونشاطه على التبرعات الشعبية وحدها، سواء كانت نقدية أو عينية))[1] .

ب. نظام التسيير بالزوايا

القائمون على الزوايا

يشرف على تسيير الزاوية شيخ الزاوية ، ويكون عادة صاحب الطريقة أو من تلاميذ الشيخ المتوفي وهو الذي يعطي الأوراد للمريدين (وهم أتباع الطريقة) . وتقوم الزاوية على أكتاف هؤلاء المردين والمحسنين، فهم الذين يمولونها، ويجمعون الزكاة والصدقات والتبرعات من العامة والخاصة، ويقدمونها لشيخ الزاوية .

وشيخ الزاوية هو المسؤول المباشر على زاويته ، وهو صاحب الحل والعقد فيها وكلمته في تسيير الزاوية وتجهيزها لا ترد : فهو صاحب الزاوية ، وقد يكون هو المؤسس أو من أبنائه أو أحفاده، أو من بعض القائمين بأمره .

والأموال التي تدخل إلى الزاوية تذهب إلى الشيخ مباشرة ، يتصرف فيها بمعرفته فلا أحد يحاسبه عليها أو يراقبه ، وهو

---

[1] -رابح تركي ، المرجع السابق ، ص 310

الذي ينفق على الزاوية ، ويوفر للطلبة كل حاجاتهم اللازمة .وشيخ الزاوية هو الذي يضع لها القوانين التي يراها صـــالحة لتـــسييرها ، وتعتبر هذه القوانين مجموعة من التقاليـــد والعـــادات والأعـــراف السائدة في الزاوية: كالزاوية الرحمانية بآيت اسماعيـــل ، والزاويـــة التيجانية بعين ماض ، والزاوية القاسمية بالهامل ، وزاوية الحملاوي بقسنطينة ، وزاوية ابن سحنون في اغزار امقران ، وزاوية الشيخ أبي القاسم البوجليل ، وزاوية الـــشيخ الحمـــامي بمنطقـــة القبائـــل .....وغيرها كثير تقدم سردها .

وصاحب الزاوية عادة يشارك في التدريس ويقـــرر طـــرق التدريس ومستوياته ومناهجـــه ، والمواد التي تدرس للطلبة . فـــإذا مات شيخ الزاوية وجب أن يخلفه أحد أفـــراد عائلتـــه، أو أحـــد المساعدين له ممن كان يرى فيهم الكفاءة في مجال الرأي والعلـــم ، إما عن طريق الوصاية أو عن طريق الاختيار [1] .

وللطلبة مقدم ، يختاره شيخ الزاوية من بين قدماء طلبة الزاوية الذين يرى فيهم القدرة والاستقامة ، فيكلفه بالمراقبة وتسيير شؤون الطلبة ومراقبتهم ويكون هذا المقدم منفذا لأوامر الـــشيخ ، وهـــو مكلف بالتسيير ومراقبة أخلاق الطلبة وسلوكهم داخـــل الزاويـــة

[1] - محمد نسيب ، المرجع السابق ، ص 103- 106 .

ومخارجها ومراعاة أوقاف القراءة ، ويلاحظ من تخلف منهم عـــن الصف في أوقات القراءة أو الدرس ، أو عن صلاة الجماعـــة ، أو قراءة حزب الراتب ونحو ذلك ، فهو المسؤول على كل ما يجـــري داخل الزاوية ، وله كلمة مسموعة سواء لدى الطلبة أو لدى رئيس الزاوية ، كما يتولى ضمان إعداد المواد الغذائية اللازمة لكل أسبوع ، ويساعده في كل ذلك الوكيل ، ومهمته السهر على نظافة الزاوية والمسجد وحجرات الدراسة وغيرها من بنايات الزاوية[1] .

الطـــــلاب

إن أعمار التلاميذ المترددين على الكتاتيـــب تتـــراوح بـــين السادسة والرابعة عشـــرة ، وفي السن الأخيرة يكون التلميذ النابه قد ختم القرآن الكريم مرة أو عدة مرات ، وتعلم القراءة والكتابـــة وقواعد الدين وأوليات الحساب ، وبعد ذلك يدخل الطالب حياة جديدة ، فهو إما أن يدخل ميدان العمل المهني كالتجارة مـــثلا ، وإما أن يصبح بدوره مؤدبا للصبيـــان وإما أن ينتمي إلى الزاويـــة ويتابع حينئذ دراسته بها للمزيد من التعليم وتحصيل مختلف العلـــوم على شيوخها .

---

[1] - مقران يسلي ، المرجع السابق ، ص 72 .

وللزاوية نظام داخلي مجاني، فالطالب لا يدفع شيئا مقابل تعلمه ومسكنه وأكله، والزاوية هي التي تتكفل بجميع النفقات ما عدا اللباس . ويربى الطالب في الزاوية على خشونة العيش والاعتماد على نفسه في جميع شؤونه ، فهو يحضر طعامه بنفسه ، ويطحن القمح والشعير ويغربل الدقيق ، ويعجن الخبز ، ويفتل الطعام ، وينظف مسكنه ومجلسه ولباسه ، ويشارك في جميع الأعمال التي تقوم بها الزاوية ، وغالبا ما ينام على حصير الحلفاء ، ويتغطى في الليل ببرنسه الذي يلبسه في النهار ، والطالب في الزاوية لا ينام إلا قليلا فهو يستيقظ في أخر الليل قبل طلوع الفجر ، وذلك لقراءة القرآن والأوراد والأدعية .

وكذلك يربى الطالب في الزاوية على التفاني في طلب العلم ، والزهد في العيش وحب النظام ، والتزام الأخلاق الفاضلة والسلوك الحسن ، فالطالب فيها يحاسب ويعاقب عن جميع التصرفات السيئة أو مخالفته لعرف الزاوية ونظامها . والعقاب فيه ثلاثة أنواع :

- لعقاب الخفيف وهو بدني ، وهو عقاب من تخلف عن صلاة الجماعة أو تغيب في وقت القراءة بلا عذر أو أخل بآداب السلوك العام .

- لعقاب المتوسط وهو مالي إذ يلزم الطالب في حالات التدخين ، والتجسس والنميمة والسب والشتم والاعتداء ، وفي كل الأعمال التي تؤذي الأخرين .

- أخيرا العقاب الشديد وهو النفي من الزاوية ، وهذا النوع يطبق على مرتكب إحدى الكبائر ، كازنا واللوط والسرقة ، وشرب الخمر [1] .

المدرسون

ومن الطبيعي أن يكون عمدة التعليم بالزاوية هو صاحب الزاوية أو شيخها نفسه. فهو موجه التعليم ، وناشر العلم بين الناس بلسانه وكتاباته وآرائه وسلوكه ، وهو الإمام في الصلوات ، ويكون محل تقدير الأهالي وثقتهم ، يستفتونه في شؤون الدين ، ويستكتبونه العقود ونحوها ، ويلجأون إليه في المهمات كالفتن والمشاكل الاجتماعية والاقتصادية وقد يختار شيخ الزاوية لمهمة التدريس شيخا آخر معه ، أو اكثر من شيخ واحد ويكون الشيخ المختار لهذه المهمة من أهل التقي والصلاح ومشهودا له بالأخلاق الفاضلة ، ومن الطبيعي أن يكون حافظا للقرآن

[1] محمد نسيب ، المرجع السابق ، ص 111- 115 .

الكريم ، معروفا بآداء الصلوات الخمس فـــي أوقاتها وأن يكون ممن يقرأ الرسائل ويكتبها ونحو ذلك مما يعد ضمن الخدمة العامة.

وكانت حلقات الدرس موئل الطلبـــة والعلمـــاء الآخـــرين الذيـــن يرغبـــــون في زيادة معارفهم ، ونيل الإجازات بعد ختمة البرنامج ، وكانت شهرة المدرس وتخصصه في فرع معين أو عـــدة فروع مختلفة وأيضافي فصاحة اللسان هي التي تجلب إليه الطلبة حتى تتضخم الحلقة التي يتصدرها .

وكان المدرسون يلجأون إلى توفير الإمـــلاءات لطلابهـــم ، فنتـــج مـــن ذلـــك عـــدد من التقاييد والحواشـــي والـــشروح، وهي جميعا تتحول إلى تأليف في مختلـــف الفـــروع . ولا يمكـــن عد جميع المدرسين متصوفة ، لا ينتظرون من عملـــهم في التعلـــيم جزاء ولا شكورا ، فقد كان منهم على عكس ذلك من يحـــرص على تأمين قوته وكســـب معاشـــه ، ســـواء عن طريق الأوقاف، أو عن طريق الهدايا والعطايا التي تجود بها أيدي المحسنين من وقت لأخر ، وفي مناسبات معينة أهمها : شهر رمضان وعيد الفطر وعيد الأضحى . وهذه الأشياء التي يتحصل عليها المدرسون تتمثـــل في المبالغ المالية والثياب والزيت والحلويات والقمح والزيتون واللحـــم ونحوها . ورغم أن مهنة التعليم كانت تعتبر من أشرف المهـــن

وأقربـــها إلى الدين والجهاد في سبيل الله ، فإنها أيضا تعتبر من أكثر المهن فقرا لصاحبها وجلبا للتعاسة والبؤس [1]

ج – نظام التعليم بالزوايا

الالتحاق بالزاوية

عندما يرغب الطالب في الانحاق بالزاوية ، يطلـــب منـــه السيرة الحسنة ، والرغبة القوية في التعليم ، وحفظ شيء من القرآن الكريم ، ثم يجتمع الطلبة بطلب من المقدم وبحضور شيخ الزاويـــة ، فيقرؤون الفاتحة للطالب الجديد ، ويدعون له بـــالخير والنجـــاح ، وذلك هو القبول . فإذا انتمى الطالب إلى الزاوية أصبح من طلابها ويعرف باسمه وينسب إلى بلدته أو مكان ميلاده ، أو قبيلتـــــه أو قريته [2] .

والزاوية مفتوحة لكل الطلاب الراغبين في العلـــم ، ولـــيس هنـــاك حواجـــز في السن ، وليس فيها اختبار عند الـــدخول ولا يجدد امتحان محدد في النهاية ، وطالب الزاوية يطلب العلم لمعرفـــة دينه ، وفهم أحكام الشريعة الإسلامية ، لذلك فله أن يغادرها متى شاء ، ويعود إليها متى شاء أيضا .

---

[1] - أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص 324- 334 .

[2] - مقران يسلي ، المرجع السابق ، ص 74 .

فإذا كان الطالب فقيرا أو قادما من مكان بعيد أعطى سكنا في الزاوية ، وقد لا يجد السكن في الزاوية ولكنه يجد فيها الطعام. كما أنه قد لا يجد الطعام وإنما يجد السكن في الزاوية، لأن كل ذلك خاضع لإمكانيات الزاوية من هدايا الناس إليها ومداخلها .

ومن عادة الطلبة أنهم لا يدرسون في مدنهم أو جهاتهم، بل يبتعدون عن مواطنهم ، فيقصدون الزوايا البعيدة التي اشتهر فيها بعض المدرسين أو اشتهرت هي بأنها قد أخرجت عددا من العلماء [1] وذاع صيتهم في النواحي ، فتلك هي فريضة طلب العلم في نظر الناس .

وعندما يدخل الطالب مكان الدرس للمرة الأولى ، يجد الشيخ أو الشيوخ المدرسين وحولهم الطلاب في حلقات تامة أو نصف دائرية ، وكل مدرس يهتم بحلقة معينة ويتناول مسألة أو كتابا معينا أيضا يدرس فيه ، فإذا كان الطالب قد كون فكرة واضحة عن مدرس بعينه قبل مجيئه إلى الزاوية فإنه يقصده مباشرة ويجلس إلى حلقته ويتابع دراسته معه في المادة أو المواد التي يدرسها هذا الشيخ ، إذ أن بعضهم كان يدرس أكثر من مادة واحدة ولكنه قد يشتهر بواحدة . أما إذا جاء الطالب وهو لا يدري

---

[1] - أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص 348 .

عمن سيدرس فإنه يجلس إلى المدرسين عدة مرات حتى يستقر رأيه على واحد منهم أو أكثر يتابع دروسه عندهم مدة قد تطول وقد تقصر بحسب حاجته إلى علم المدرس وقدرته على الاستيعاب والفهم ، ولكنه متى كان من الطلاب النجباء فإنه يحصل على إجازة من المدرس عند نهاية الحلقة التدريسية أو عند ختمه للمصنف موضوع الدرس .

منهج الدراسة

كان بعض المدرسين يلقي دروسه ثلاث مرات في اليوم الواحد، كما أن بعضهم كان يلقيها في الصباح فقط ، أو بعد الظهر فقط ، أو مرتين في النهار ، وقد لا ينقطع بعض المدرسين عن التدريس طول النهار . ومهما كان الأمر فإن معظم الدروس كانت في الصباح وبعد صلاة العصر .

وبالتدرج ترتبط علاقة وطيدة بين الطالب والشيخ المدرس، ذلك أن الشيخ هو الذي ينصح تلميذه بكيفية القراءة ، وبالكتب التي عليه أن يدرسها ، وبطريقة تحضير الدرس ، وبالمتون التي عليه حفظها ، ونحو ذلك مما له علاقة ببرنامج التدريس .

وكان الفرق بين مدرس وآخر ، في نظر الطالب ، بالاضافة إلى العامل النفسي ، هو سيطرة المدرس على مادته ومدى حفظه لها ولفروعها ، ومدى فصاحة لسانه وقوة شخصيته وإخلاصه في

مهنته . وفي ضوء هذا كله كان الطالب يقرر الاستمرار مع الشيخ المدرس أو الانتقال إلى مدرس أخر ، أو حتى إلى زاوية أخرى . وكثير من الطلاب كانوا يغيرون وجهتهم بعد وفاة شيخهم أو هجرته ، فقد كانت الرابطة قوية بين الطالب والشيخ لدرجة أنها أحيانا تغير مجرى حياة الطالب وتؤثر على مستقبله [1] . وسبب ذلك أن هذه الرابطة هي روحية بالأساس .

وكانت ميزة الدروس التي تلقى في الزوايا من نوع الشروح و الأمالي ، فقد كان لكل مدرس مسمع يقرأ له النص أو جزءا من الكتاب المقرر ، ثم يأخذ الشيخ في شرح المسألة وتوضيحها والاستشهاد لها من محفوظه ومعقوله . وقد لا ينتهي الشيخ المدرس من المسألة في نفس الجلسة ، فإن ميزة المدرس الناجح هي الخوض في الجزئية الواحدة عدة مرات ومن عدة وجوه ، وكلما أطال الشيخ المدرس في المسألة وتشعب وأفاض فيها ، كان ذلك من دلائل نجاحه وغزارة علمه وهو يختم درسه في العادة بإملاء خلاصات على الطلاب . فينسخونها بحذق وعناية . كما أن الطلاب أنفسهم يسجلون الدرس كله إذا كان الشيخ المدرس واسع العلم غير متقيد بالمنقول والمسموع من المسائل ،

---

[1] - أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر، المرجع السابق ، ص 349

فإن الطلاب في هذه الحالة يصبحون حريصين أكثر على ألا تفوتهم شاردة أو واردة من كلام شيخهم ، وبذلك يسهمون بدورهم في حركة التأليف رواية عن شيخهم [1] .

ويحدث أن تنقطع علاقة الطالب بشيخه لغدة اعتبارات، منها وفاة الشيخ ومنها انقطاع الطالب عن الدراسة لظروف خارجة عن إرادته ، وكذلك ختم الشيخ موضوع الدرس أو الكتاب أو رغبة الطالب نفسه في متابعة دروسه في مستويات أخرى ، قد تكون خارج الجزائر أحيانا.

وكثير من الطلاب كانوا لا يصلون بدراستهم إلى نهايتها، ذلك أن البرنامج نفسه غير محدد ، فيكتفي الطالب بما تعلمه في الزاوية ، ويتولى الإمامة أو تأديب الصبيان في مدينته أو قريته ومنهم من ينصرف إلى الفلاحة أو التجارة أو الأعمال الأخرى .وهذا النوع من التعليم لا ينتهي بشهادة أو نحوها ، وأقصى ما يطمح إليه الطالب المجتهد والطموح هو حصوله على إجازة مكتوبة أو شفوية من شيخه وتعني الإجازة تسريح الطالب ورضى شيخه عنه بان يتولى تدريس علمه لمن يشاء وانه مؤهل لحمل هذه الأمانة العلمية من بعده أو نيابة عنه وتكفي شهادة الشيخ في

---

[1] - أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص 350

المجالس بنجابة الطالب الفولاني حتى يطير ذكره في الأسماع ويصير عالما في تلك الناحية بانتمائه إلى علم الشيخ .

المواد المدروسة

كان التعليم في بعض الزوايا متدرجا في ثلاث مراحل، وهي على سبيـــل التقريب[1] .

1. مرحلة المبتدئين ، وفيها كان الطلبة يدرسون القواعد النحوية، وكتب الأجرومية ، وملحقة الإعراب ، والأزهرية.

ويدرسون في مادة الفقه الإسلامي : كتب ابن عاشر ، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني بجزأيها ، إلى جانب بعض الكتب في التوحيد والبلاغة والأدب .

2. مرحلة المتوسطين (المستوى الثانوي) ، وفيها كان الطلبـــة يدرســـــــــون القواعد في كتـــب : قطـــر النـــدى ، وشـــذور الذهب، وشرح المكودي على الألفية . أما في الفقه فكتاب الشيخ خليل في الفقه المالكي ، وهذا بعد حفظ القرآن كله حفظا جيدا[2] .

---

[1] - رابح تركي ، المرجع السابق ، ص 275 .

[2] - محمد علي دبوز ، المرجع السابق ، ص 60 .

3. مرحلة المنتهين (القسم العالي) ، وفيها يدرس الطلبة تفسير القرآن في كتاب تفسير الواحدي ، والحديث في كتاب ابن أبي حمزة في شرح الأحاديث النبوية ، ويدرسون الفقه في كتاب الدردير على الشيخ خليل ، والقواعد في كتب ابن عقيل على الألفية ، والأشموني ، وشرح ابن يعيش على المفصل . وهذا دون اهمال العلوم المتصلة بالمواد المذكورة ، ففي تلك المراحل ، يدرس الطلبة أيضا أصول الفقه ، وشيئا من التاريخ الإسلامي ، والسيرة النبوية . كما يدرسون المنطق لصلته بعلم التوحيد ،و الحساب لعلاقته الوثيقة بعلم المواريث ، والفلك لمعرفة أوقات العبادات ، وهكذا ....

ولكن معظم الزوايا التي كانت قائمة بالتعليم ليس لها نظم تعليمية موحدة سواء من ناحية المناهج ، والكتب التعليمية ، والمواد الدراسية وسنوات الدراسة ومراحلها أو من حيث أعمار الطلاب ومستواهم العلمي ، وإنما كان التعليم يسير فيها بحسب ما يمكن اعتباره ، العرف والتقاليد في كل زاوية ، فكان الطلبة يتابعون الدراسة لعدد من السنين قد تقصر وقد تطول ، يدرسون خلالها العلوم الدينية واللغوية ، وبعض كتب التاريخ والسيرة ، وما يتعلق بذلك كما أسلفنا

وهذه العلوم والمواد التعليمية وكتبها المنصوص عليها أحيانا [1] كانت شائعة عندئذ في مختلف الزوايا – وقد يوجد بعضها في زاوية ولا يوجد بعضـــها في الأخرى – وهي إجمالا تتمثل فيمايلي :

- العلوم الدينية

- تفسير القرآن الكريم بعدة كتب منها تفسير الثعالبي وتفسير السيوطي .

- القراءات بمنظومة الجزري والخراز .

- الحديث الشريف، وخصوصا صحيح البخاري الذي كـــان يقرأ كثيرا .

- مصطلح الحديث بألفية العراقي .

- الفقه المالكي برسالة ابن أبي زيد القيرواني والشروح علـــى الشيخ خليل .

- أصول الفقه وأصول الدين بجمع الجوامع للسبكي ومختـــصر ابن الحاجب .

- التوحيد أو علم الكلام بالمنظومة الجزائرية(نسبة إلى احمـــد بن عبد الله الجزائـــري) وعقائد السنوسي الثلاث .

---

[1] - أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص 356- 358 .

- التصوف بدراسة حكم ابن عطاء الله وكتاب إسقاط التدبير له أيضا .

- وخارج حلقات الدرس، سيطر على المجالس القرآن الكريم، والكتب المشبعة بالأفكار الدينية والعبادات والأوراد، مثل دليل الخيرات وتنبيه الأنام .

وليس معنى هذا أن الدروس كانت تشمل جميع هذه العلوم والمواد فقد سبقت الإشارة إلى أن بعض المجالس كانت مقتصرة على علوم ومواد خاصة ، وان الطلاب كانوا يختارون كما يشاءون المدرسين وحلقات الدرس ، والمواد الدراسية.

- **العلوم اللغوية**

- النحو بالأجرومية وألفية ابن مالك وشرحها كالمكودي .
- الصرف بلامية ابن مالك في التصريف .
- فقه اللغة .
- البلاغة بجوهرة الأخضري ، وحواشي السعد التفتزاني ومتنه ، وتلخيص المفتاح
- العروض بالخزرجية مع شرحها للشريف الغرناطي .
- الأدب نصوصا وتاريخا .
- السيرة والأخبار .
- الخط .

- **العلوم المحضة**

- المنطق بالسلم المرونق للأخضري ، وتهذيب السعد والجمل للخونجي ، ومختصر السنوسي .
- الحساب .
- الفرائض .
- علم الفلك لأبي مقرع بالسراج للأخضري .

ورغم سيطرة العلوم الدينية واللغوية على التعليم ، فإن بعض المدرسين كانوا يهتمون بالعلوم المحضة ، فكان يدرس الحساب لفهم العمليات الأربع وممارسة التجارة ، والفرائض لمعرفة قسمة التركات ونحوها ، والفلك لمعرفة الزوال وأوقات الصلاة والهلال ، ونحو ذلك ، والمنطق لعلاقته بالتوحيد .

7- نماذج من الزوايا التعليمية

أ- اوية الشيخ عبد الرحمن اليلولي

الموقع والتأسيس

تقع زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي بجبال جرجرة، في عرش " يلولة " أو" يلولن "، ناحية عزازقة، ولاية تيزي وزو .

أسس هذه الزاوية سيدي عبد الرحمن بن يسعد المصباحي الخردوشي اليلولي الزواوي ، ولد حوالي 1030 هـ / 1620 م في قرية أخردوشن ببلدة " يلولة " (او مالو) ناحية عزازقة ، وتوفي عام 1105 هـ/ 1694م. ودفن قرب زاويته . اشتهر سيدي عبد الرحمن بالتقوى والعلم والعمل الصالح وكان متبحرا في علوم القرآن ، ولاسيما في حفظ القرآن وتجويده ، بالإضافة إلى معرفته بالقراءات ، وقد تخرج على يد علماء مشهورون بالناحية والذين بدورهم تخرجت عليهم مجموعة أخرى من الفقهاء والمقرئين .

درس الشيخ عبد الرحمن اليلولي على الشيخ محمد السعيد البهلولي المدفون في غابة مزراتة بناحية دلس، والذي أخذ بدوره العلم عن شيخه عبد الرحمن القاضي الفاسي ، ودرس هذا الأخير على الإمام الفقيه عبد الواحد بن عاشر الأنصاري الأندلسي ، صاحب الدر الثمين ومورد الضمآن في القراءات للخراز [1].

نظام التسيير

لم يترك الشيخ عبد الرحمن زاويته للأقارب والورثة ، بل تركها تحت تصرف طلبة العلم ، ووضع حدا لتدخل الورثة في شؤون

[1] - سعيد بن زكري ، المرجع السابق ، ص 43- 55 .

زاويته ، وتركها مفتوحة لكل طالب علم ولكل الوافدين إليهـــا ، عن طريق التسيير الجماعي من قبل طلاب الزاوية أنفسهم .

وللزاوية رئيسان متعاونان ، أحدهما مكلف بـــشؤون الإدارة يسمى مقدم الثمن ، والأخر مكلف بشؤون التعلـــيم ويـــسمـــى مقـــدم العسكـــر . وهذا النظام كان معمولا به في الزاوية منـــذ تأسيسها في القرن 11هـــ /17م، واستمر إلى سنة 1956 م حـــين أوقفت سلطات الاحتلال نشاطها التعليمي وخربتها بعد ذلك

ويتولى تسيير الزاوية مجلس يتكون من اثني عشر عضـــــوا من طـــلبة الزاوية، ويسمى هؤلاء الأعضاء " بالقدامى " . وهـــذا المجلس نفسه هو الذي يختار أعضاءه ويرشحهم عندما ينقص عضوا أوعضوان أو أكثر ، بسبـــب تـــــرك الزاويـــة ، أو الوفـــاة ، أو الإبعاد، أو العجز ، أو التهاون أو السلوك ، أو غير ذلك . ويتداول أعضاء المجلس المسؤولية والتسيير بالتناوب ، فالمجلس يعين عضوين يتوليان مهام التسيير ، وهما : مقدم الثمن ، يعين لمدة شهر كامل ، ومقدم العسكر يعين لمدة نصف شهر ، وتحدد المهام لكل واحـــد منهما .

فمقدم الثمن يتولى شؤون المالية والتموين ، وكل ما يتـــصل بالجانب المادي والمواد الغذائية ، ومراقبة أرزاق الزاويـــة، وتخـــزين الحبوب والمحافظة عليها ، كالقمح والشعير والـــتين بالإضـــافة إلى

الزيت وغير ذلك ، وفي كل يوم يخرج مقدار الطعام حسب عدد الطلبة . وعندما يقسم الطعام على الطلبة في الغذاء أو العشاء يكون تحت إشراف مقدم الثمن ومراقبته أيضا . أما مقدم العسكر فمهامه محصورة في شؤون التعليم والتنظيم ومراقبة سلوك الطلبة والسهر على شؤونهم ومصالحهم ، ومعاقبة المخالفين للنظام وجميع أعضاء مجلس التسيير متساوون مع بقية الطلبة في الحقوق والواجبات ، وفي المأكل والمسكن والعمل لا فضل لهم ولا ميزة لأحد على أحد ، الميزة الوحيدة بين الطلبة هي العلم والاجتهاد والأخلاق الفاضلة [1] .

نظام الدراسة بالزاوية اليلولية

تهتم زاوية سيدي عبد الرحمن بتحفيظ القرآن الكريم أكثر من غيره ، إذ تأسست على طريقة صاحبها في ذلك ، وهي قراءة القرآن الكريم وتجويده بمختلف الروايات في فن القراءات ، وعلى طريقة الإتقان والأحكام والضبط ، حتى حصلت لطلابها ملكة راسخة في الحفظ والرسم والرواية بلفظه ورسمه .

كان طلبة الزاوية يخصصون جزءا كبيرا من الليل لقراءة القرآن كالحفظ والمراجعة والمطالعة. وكان مقدم العسكر يوقظ

---

[1] - محمد نسيب ، المرجع السابق ، ص 124 .

الطلبة في آخر الليل لقراءة حزب من القرآن تلاوة ، حتى إذا أذن للفجر يقومون للصلاة، فإذا قضيت الصلاة رجعوا إلى الحلقة لقراءة الحزب .

وبعد ذلك يشتغل الطلبة بمحو الألواح وكتابتها ، وهم موزعون جماعات جماعات هنا وهناك ، مجتمعين في شكل حلقات حول حفاظ القرآن الذين يملون عليهم ما يكتبون ، فإذا انتهى الطلبة من كتابة ألواحهم قدموا ما كتبوا للحفاظ لتصحيح الأخطاء.

ولعل هذا الاهتمام برسم القرآن وحفظه لا يوجد بهذا القدر من العناية في غيرها من الزوايا المجاورة ، ولذلك كان حرص الطلبة عليه شديدا و قويا ، بخلاف الفقه لأنه يوجد في غيرها من الزوايا الأخرى[1] ، أما القرآن فاشتدت رغبة الطلبة في الإقبال عليه بالزاوية اليلولية ، حتى كان يصل أحيانا عددهم إلى 80 طالبا في فصل الصيف ويرتفع هذا العدد إلى (200) طالب في فصل الخريف والشتاء والربيع لقلة الحاجة إليهم في أعمال الحقول .

واستمر الأمر في هذه الزاوية على هذا النمط زمنا، ثم عرف التعليم بها تطورا ملحوظا – تمثل في تهذيب أساليب

---

[1]- يسلي ، المرجع السابق ، ص 80 .

التدريس، وإدخال علوم إسلامية أخرى كما دخلت العلوم العربية مثل النحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق .

النظام الاجتماعي

يعتمد الطلبة على أنفسهم في جميع الأعمال بزاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي فهم الذين يقومون بمهام جلب الماء، وقطع الحطب ، وطحن الحبوب ، وتحضير الطعام ، وذلك بالتداول اليومي بين مجموعات العمل كما هو جار العمل به في معظم زوايا بلاد القبائل .

ويهتم الطلبة بإكرام الضيوف ، ولاسيما الفقراء منهم وأبناء السبيل الذين يقصدون الزاوية ، ويتناولون الطعام ثلاث مرات في اليوم ، يكون عادة في الغذاء كسكسى بالزيت والفول أو المسفوف وبعد صلاة العصر يتناولون حبات التين المجفف وفي العشاء يتناولون كسكسى الشعير بالمرق ، أما خبز القمح الخالص أو الخبز المعروف في المخابز فلا يؤكلان إلا في بعض الأوقات والمناسبات النادرة .

ولا يرتاح الطلبة من أعباء الدراسة والمهام إلا أيام العطل . فهناك عطلة أسبوعية تبدأ مساء الأربعاء بعد صلاة العصر، وتنتهي يوم الجمعة بعد صلاة الظهر ، بالإضافة إلى عطلة عيد الفطر ، وعيد الأضحى ، وعاشورا، والمولد النبوي ، ثم العطلة

الكبرى، وهي العطلة الصسفية ، لتتوقف الدروس ويتفرق الطلبة ، فمعظمهم يغادر الزاوية ، ولا يبقى فيها إلا القليل ممن ليس لديهم من يعولهم ، ولا يعود تجمع الطلبة بالزاوية إلا في شهر سبتمبر من كل عام .

مساهمة الزاوية

كانت الزاوية محط رحال العلماء والدارسين من مختلف أنحاء القطر الجزائري وقد أدت خدمة عظيمة في الحركة العلمية والإصلاح الديني بالبلاد ، فأنجبت خيرة العلماء الذين ما أن تخرجوا منها حتى عادوا إلى قراهم وأوطانهم ينشرون العلوم والمعارف، وانتصبوا للتعليم في الزوايا والمدارس والكتاتيب القرآنية، وعمروا المساجد ، وقاوموا حركة التبشير الصليبي التي اشتد وطؤها على هذه المنطقة .

ولما كانت زاوية سيدي عبد الرحمن بهذه الصفة فقد تحولت إلى ملجأ للثوار والمجاهدين أثناء حرب التحرر ، لذلك قام الاحتلال الفرنسي بتهديمها وإحراق كنوزها من المخطوطات والتآليف ، وتوقيف نشاطها العلمي والثقافي والتربوي عام 1957 م[1] .

---

[1] - نسيب ، المرجع السابق ، ص 125- 126 .

أسماء بعض الشيوخ المدرسين بالزاوية اليلولية [1]

كثير من الشيوخ الذين قاموا بالتدريس في زاوية اليلولي كانوا من طلبتها ، أو تتلمذوا على شيوخها ونخص بالذكر بعض الـذين قاموا بالتدريس في هذه الزاوية وهم :

- أفطر (محمد بن عنتر البتروني) الحرزوني ، الفقيه ، دفين الزاوية اليلولية .
- محمد بن علي بن مالك التقابي ، المتوفي عام 1855 م .
- عبد الله بن الخراط اليعلاوي المتوفي عام 1858 م.
- العربي الأخداشي اليتورغي ، النتوفي عام 1863م .
- أبو القاسم الحسيني البوجليلي المتوفي عام 1899م
- محمد الطاهر بن الشريف الجنادي الزيتوني (انتقل إلى تونس عام 1882 م .)
- محمد بن يحي اليراتني .
- محمد بن بسعة .
- السعيد الزلالي ، المتضلع في علوم الفقه .
- الحاج عمر أو فضة الفقيه .

---

[1] - نسيب ، نفسه ، ص 148- 149 .

- يسلي ، المرجع السابق ، ص 80 – 81 .

- علي أو الخيار الفقيه من القبائل الصغرى .
- محمد الطيب الأقربوسي .
- الطاهر القيطوسي الحضيري اليلولي ، المتوفي عام 1903 م .
- الشريف الإفليسي البحري ، المتوفي عام 1918 م.
- الصادق البسكري الجنادي ، المتوفي عام 1928 ودفين الزاوية اليلولية .
- الرزقي الشرفاوي الأزهري المتوفي عام 1944م
- المولود الحافظي الأزهري المتوفي عام 1947 م
- السعيد اليجري النحوي المتوفي عام 1951 م
- محمد القاضي المسيسني الصدوقي المتوفي عام 1966 م من قرية صدوق .
- الطيب الشنتيري العباسي من قرية بني عباس بنواحي أقبوا .
- عبد القادر الزيتوني .
- محمد الشريف المسيسني الصدوقي، من قرية صدوق أيضا .
- الصادق الصدقاوي [1].

---

[1] - محمد نسيب ، المرجع السابق ، ص 118- 149 .

ب- زاوية الهامل

لموقع والتأسيس

تقع الزاوية في قرية الهامل ، بجبال أولاد نايل إلى الجنوب من مدينة بوسعـــادة ، ولقد أسسها على الطريقة الرحمانية الشيخ محمد بن أبي القاسم بن ربيع بن محمد بن سائب بن منصور ، بـــن عبد الرحيم بن أيوب ، أحد أجداد شرفة الهامل [1] .

ولد الشيخ محمد بن أبي القاسم في الحامدية ببادية الهامل عام 1239 هـــ / 1823 م ، وتعلم في قرية الهامل على يد أحد علماء الشرفة هو سيدي محمد بن عبد القادر ، وكان ذكيا [2] ، حفـــظ القرآن في سن مبكرة ، وانتقل بعد ذلك إلى منطقة البيبان حيـــث زاوية سيدي علي الطيار لمواصلة تعليمه ، فأتقن القراءات الـــسبع وفن التجويد على يد أحد شيوخها هو سيدي الصادق .

ثم توجه الشيخ محمد بن أبي القاسم إلى زاوية السعيد بن أبي داود بأقبـــــوا في جبال جرجرة ، وفيها لازم الشيخ سيدي أحمد

---

[1] - الحاج مزاري ، الهامل ، المطبعة العصرية بلوزداد ، الجزائر 1993 ، ص 7 – 47

[2] - أبو القاسم محمد الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف ، مؤســـسة الرسالة ، بيروت ، 1985 ، ص 345- 351 .

بن أبي داود ، فأخذ عنه علوم الشريعة ، وبرع في المذهب المالكي وأصوله ، وعلم التفسير ، وعلم الكلام ، والنحو والصرف، والبلاغة ، والفلك ، والحساب ، حتى صار يساعد شيخه في التدريس ، إلى أن منحه شيخه الإجازة ، وأمره بالتوجه إلى زاوية ابن أبي التقى ، فكان مدرسا ممتازا ، وواعضا للعامة.، وموجها دينيا بارعا .

وبرغبة من مربطي الهامل ، عاد الشيخ محمد بن أبي القاسم إلى قرية الهامل عام 1265 هـ / 1848 م ليبدأ التدريس بجامع الحجاج ، ولما تكاثر عليه الطلاب قام ببناء الزاوية عام 1279 هـ / 1862 م [1] .

إدارة الزاوية

وبعد وفاة مؤسس الزاوية الشيخ محمد بن أبي القاسم عام 1315 هـ / 1898م تولت إدارتها ابنته الوحيدة ذات الصيت الكبير : زينب العالمة ، ثم من بعدها ، تعاقب على إدارة الزاوية مشايخ علماء ، أمثال : محمد بن الحاج أحمد ، والمختار بن الحاج المحمد ، وبلقاسم بن الحاج المحمد ، واحمد بن الحاج المحمد ،

[1] - عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر ، بيروت ، المكتبة التجارية ، 1971، ص 176

ومصطفى بن الحاج امحمد ، وحسن بن الحاج امحمد وخليل بن مصطفى .

أهمية الزاوية ودورها التعليمي

بلغت الزاوية الرحمانية بالهامل شأنا عظيما كشهرة مؤسسها، فعبقريته العلمية ، وبراعته وحكمته ، هي التي جعلت الزاوية يأمها الطلبة والزوار من مختلف جهات الوطن ، لقد كان الشيخ محمد بن أبي القاسم مقدر للعلم والعلماء ، وكان من الموجهين الدينيين والوعاظ القادرين ، مما جعله يحقق للزاوية صيتا واسعا .

وبالإضافة إلى الدور الثقافي والديني ، فإن الزاوية كانت مركز التقاء للأعراش المجاورة ، ومحط رحال أولاد نائل لفك خصوماتهم، والتآلف بينهم ، وتزويدهم بالمعارف الدينية ، كما كانت مأوى للعجزة والمحرومين .

وصارت زاوية الهامل مركز إشعاع علمي وديني ، ومعلما نيرا في المنطقة ، ارتاده في الفترة الممتدة من 1883 إلى 1885 م ما بين 200 إلى 300 طالب سنويا ، كان يدرسهم مشايخ مجازون ومهرة ، بلغ عددهم خلال نفس الفترة اثنا عشر مدرسا ، في مختلف المعارف والعلوم [1] .

---

[1] - الحاج مزاري ، المرجع السابق ، ص 31 .

لقد قامت زاوية الهامل بأعمال البر والجهاد الوطني في الميدان الثقافي والديني فأفادت فائدة كبرى ، ونشرت العلم والدين ، وصارت من أوتاد العربية والإسلام ، فلم يستطع الاستعمار القضاء عليها ، ونبغ فيها علماء صالحون كانوا حماة الدين ، وجندا مخلصين لنهضة الجزائر الحديثة [1] .

وبذلك كانت زاوية الهامل مصدر إشعاع للفكر الديني الإسلامي ، ورمــزا من رموز الثقافة المتأصلة ونموذجا للزوايا الصالحة ، التي خدمت اللغة العربية والثقافة الإسلامية طيلة العهد الاستعماري وبعده .

المواد الدراسية

كان يعلـم الطلبـة مشايـخ اختصوا في مختلـف فـروع المعـرفـة والعلـوم أبـرزها : التفسير ، الحديث ، مـصطلح الحديث ، الفقه المالكي ، أصول الفقه ، أصول الدين ، التصوف ، التوحيد ، النحو ، الصرف، البلاغة ، الأدب ، هـذه في العلـوم الشرعية واللغوية ، بالإضافة إلى العلوم الأخرى كالسيرة ، التاريخ، الحساب ، الفرائض ، الفلك ، وقد استمر التعليم بالزاوية على هذا النحو حتى بعد الاستقلال .

---

[1] - محمد علي دبوز ، المرجع السابق ، ص 46- 81 .

بعض خريجي زاوية الهامل وأشهرهم

- محمد بن عبد الرحمن الديسي ، الأديب ، تعلم وعلم بالزاوية.
- محمد أبي القاسم الحفناوي ، صاحب كتاب تعريف الخلف برجال السلف .
- محمد بن الحاج امحمد ، صاحب كتاب الزهر الباسم .
- المختار بن الحاج امحمد ، تولى شيخة الزاوية .
- بلقاسم بن الحاج امحمد ، تولى مشيخة الزاوية .
- محمد الصديق الديسي ، عالم جليل .
- محمد المكي القاسمي ، من العلماء الفطاحل .
- محمد بن عزوز القاسمي ، صاحب مؤلفات ورسائل عدة .
- عبد الحفيظ القاسمي ، صاحب ديوان شذى الياسمين .
- مصطفى بن الحاج امحمد ، تولى إدارة الزاوية .
- حسن بن الحاج امحمد ، تولى إدارة الزاوية .
- بومراق الونوغي ، تولى الإفتاء في مدينة الشلف .
- محمد العاصمي ، تولى الإفتاء الحنفي بمدينة الجزائر .
- العيد بوشارب ، تولى الإمامة والإفتاء في بلدة سور الغزلان .
- أحمد بوعود ، تولى القضاء بأفلو .
- المختار بن علي ، تولى القضاء بالجلفة .
- الحاج يعقوب ، تولى القضاء بفرندة .

- الطيب بن لخضر ، تولى القضاء بسوقر
- الشرفي حسن ، تولى القضاء بمعسكر .
- الربيع بن عطية ، تولى القضاء ببوسعادة.
- محمد بن الربيع تولى القضاء كذلك .
- امحمد بن بريدة عمراوي ، عمل بالزاوية نفسها .
- عبد الرحمن بن البيض ، تولى الإمامة والإفتاء ببوسعادة .
- أحمد مزوز ، تولى الإمامة ببوسعادة .
- أحمد بن رزيق ، تولى الإفتاء .
- عيسى بن بوزيد ، تولى الإمامة والتدريس بالهامل .
- عبد العزيز بن يحي ، قام بالتدريس في الزاوية ومساجد الهامل.
- محمد العيد بن بهاء الدين قويدري ، عالم ومحقق .
- امحمد بن الطالب رزيقي ، تولى الإفتاء ببسكرة .
- عبد السلام التازي ، تولى التدريس في جامع القرويين بالمغرب.
- حميدة الديسي ، تولى التدريس بالحرم النبوي بالمدينة المنورة .
- الحسين بن أحمد البوزيدي ، تولى التدريس بالأزهر .
- العابد بن عبد الله . ومصطفى بن قويدر من أساتذة الشيخ نعيم النعيمي عضو جمعية العلماء .
- الحسين بن المفتي ، تولى القضاء في قفصة بتونس .

أبرز المجازين بزاوية الهامل

- الشيخ المكي بن عزوز ، دفين الاستانة بتركيا .
- الشيخ حمدان الونيسي ، أستاذ الشيخ ابن باديس .
- الشيخ محمد السنوسي التونسي ، صـــاحب الاســـتطلاعات الباريسية .
- الشيخ عاشور الحنفي ، والشيخ عبد الحميد بن سمايـــة مـــن علماء الجزائر أوائل هذا القرن .وغير هؤلاء كثير[1].

وهكذا يتبين لنا من خلال هذا العرض أن دور الزوايا في تمرير رسالة التعليم العربي والحفاظ على مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية كان كبيرا جدا وعلى درجـــة عاليـــة من الأهيمة تجسد بالخصوص في الأعداد الكبيرة من شباب الزوايا الحاملين مشعل الثورة التحريرية التي شعارها " الله أكبـــر وتحيا الجزائر " والذين صاروا شهداء هذا الوطن رحمهم الله .

[1] ـ الحاج مزاري ، المرجع السابق ، ص 40- 47 .

8- حوارات

أ- حوار مع الشيخ " مصطفى السنوسي "

الأمين العام للجمعية الوطنية للزوايا

س- هل لكم نشاط بزاوية معينة ؟

ج- أنشط في زاوية الشيخ الحاج بالقاسم السنوسية بزمورة، في ولاية إغليزان .

س-.كيف جاءت علاقتكم بهذه الزاوية ؟

ج-لقد تعلمت فيها القرآن والفقه والألفية (النحو والصرف)، وأنتمي إليها .

س-من هو أشهر ممن تعلمتم عليهم ؟

ج- لشيخ الحاج بالقاسم السنوسي الحراثي(1925-1974)، كان واعــضا ومرشدا ، ويعلم الفقه والتوحيد والنحو والصرف .

س- من درس عليه غيركم من رجال الفكر والثقافة ؟

ج- تعلم عليه السيد العربي دماغ العتروس ، وزير الثقافة سابقا ، وغيره .

س- اذكروا لنا شيخا آخر تعلمتم عليه في الزاوية ؟

ج- منهم الشيخ سي الحاج أحمد عتبة بن الشيخ سي الحاج الجيلالي العطافي .

س- ما هي الوظائف التي شغلتموها من جراء دراستكم بالزاوية ؟

ج- اشتغلت في سلك التعليم ومارسته مدة 20 سنة .ثم التحقت بوزارة الشؤون الدينية حتى أصبحت رئيسا لمصلحة التعليم والتكوين للثقافة الإسلامية، إلى غاية التقاعد .

ب - حوار مع الشيخ " عبد الرحمن بن عبد الكريم بكراوي " ناظر الشؤون الدينية بولاية أدرار والمشرف على خزانة مخطوطات بتمنطيط

س – حسب لقبكم ونشاطكم ،هل تنتمون إلى الزاوية البكرية في تمنطيط بتوات ؟

ج – نعم ، وتربيت فيها ، وكان حضوري إلى مجالس العلم بها منذ الصبى

س – ماذا درستم في الزاوية ؟

ج – أخذت مبادئ الفقه والعقيدة والتصوف والنحـــو، وكان أهـــم ما يشدنـــي هو قراءة صحيح البخاري في رمضان من اليوم الأول إلى اختتامه يوم 26 رمضان

س – ألم تتعلموا في مكان آخر غير هذه الزاوية ؟

ج – بلا ، إلى جانب التعلم في الكتاتيب القرآنية ، انتقلت إلى مدرسة تابعة لزاوية سيدي البكري بقرية نومناس ، على مسافة 18كلم ، وهناك انقطعت إلى دراسة الفقه والنحو والصرف ((مختصر خليل ، وألفية ابن مالك ، ولامية ابن مالك)).

س – هل ذكرتم لنا ممن درستم عليهم في الزاوية ؟

ج – أول من درست عليه هو الشيخ سيدي عبد القادر بن سيدي احمد ديدي البكري ، ثم الشيخ عبد القادر البكراوي الذي أخذ عن والده القاضي وعن الشيـــخ بالكبير .

- جرى الحواران ، في 1998/05/16 وذلك بمناسبة الملتقى الوطني للمخطوطات ، المنعقد في مدينة أدرار ، أيام 14-15-16 ماي 1998

الفصل الثاني

الصوفية والاحتلال الفرنسي في الجزائر

* التصوف وممارسته
* العلاقة بين التصوف والاحتلال
* الصوفية والدور الوطني
* موقف الاحتلال من الصوفي

1- مفهوم التصوف وممارسته

لقد تشابهت التعريفات كما تشابهت الدراسات التي تناولت مختلف جوانـــب التصوف . وفي هذا المجال نذكر ما جاء به " ابن خلدون " ، إذ قال :" وأصله أن طريقة هؤلاء القوم ، لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم ، طريقة الحق والهداية ، وأصلها العكوف على العبادة والانقطـاع إلى الله تعالى ، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يقبـل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق في الخلـوة للعبادة ، وكان ذلك عاما في الصحابة والـسلف ، فلمـا فـشا الإقبـال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده ، وجنح النـاس إلى مخالطة الدنيا ، اختص المقبلـون على العبادة باسـم الـصوفية والمتصوفة "[1].

وتضيف دائرة المعارف الإسلامية ، ممـا جـاء فيهـا :" والواقـع أن منشـأ النـزوع إلى التصوف هو ثورة الضمير على ما يصيب الناس من مظالم لا تقتصر علـى مـا يـصـدر عـن الآخرين وإنما تنصب أولا وقبل كل شيء على ظلم الإنسان نفسه

---

[1] – عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ ابن خلـدون ، ج 1 ، دار الكتـاب اللبناني ط 2 ، بيروت 1979 ، ص 863

وتقترن هذه الثورة برغبة في الكشف عن الله بأي وسيلة يقويها تصفية القلب من كل شاغل "[1].

أما عن مصطلح "صوفي" فجمهرة الصوفية يميلون إلى رد اسمهم إلى الصفاء، لكن أرجح الأقوال لا تجد لذلك وجها ظاهرا في قواعد اللغة، فنسبت الصوفي إلى الصوف، وأن المتصوف مأخوذ منه بقول تصوف إذا لبس الصوف، وقد اختار هذا الاشتقاق كبار العلماء من الصوفية[2].

وقد أطلق، بادئ المر، لفظ الصوفي والمتصوف مرادفا للزاهد والعابد، والفقير، لأن لبس الصوف في ذلك الوقت، مظهر للفقر والزهد.

ثم صار التصوف فيما بعد يدل على ممارسة التطهر، والتقشف، و الابتعاد على مغريات الحياة الدنيا والتحلي بالاخلاق الفاضلة و الفضائل، و تجنب المزالق، و القيام بالواجبات الشرعية من صلاة و صوم وحج، ومعرفة الله و شكره و حمده، و التضرع اليه في كل وقت، بالاضافة الى الخلوة لممارسة

---

[1] – لويس ماسينيون، " مادة التصوف "، دائرة المعارف الاسلامية، المجلد 5، القاهرة 1933، ص 268

[2] – مصطفى عبد الرازق باشا، " مادة التصوف "، المرجع نفسه، ص 279.

العبادة و النشاط الروحي ، و كــل ذلك مــن اجــل التـسامي والوصول الى الدرجة العليا في القربى الى الله ونيل رضاه .

وفي نظر بعض المتصوفة ، قد تؤدي هذه الدرجة بصاحبها الى للوصول الى الالهام والكشف و الــرؤى و الـسرحان في عــوالم الاسرار الغامضة .

وقام أئمةالتصوف بتحديد طرائقهم و وضعوها على مقتضى الآداب الصوفية، وانتهت طريقة كل منهم الى أن أصبحت تــدل على الحياة داخل الجماعة الصوفية القائمة على سلسلة من الوصايا الخاصة [1] .

وتتميز هذه الحياة بالنوافل كالـصوم ، والتهـــجّد،وقراءة القرآن، والذكر ، والرخص الخاصة مثـل الزيـارة ، و الوظيفــة والحضرة ، و الهدايا .

إذا ،" فالطريقة " هي سلم الوصول الى النجاة و الـسعادة ، مع مجموعة من الشعارات والممارسات و الأذكار التي تختلف فيها كل طريقة عن الأخرى في بعض التفاصيل و العـدد والأزمنــة ،

---

[1] – ماسينيون ، " مادة طريقة " ، المرجع السابق ، المجلد 15 ، ص 172- 173 .

وتسمى الطريقة أيضا "وردا"[1] ،و الورد هو الدخول في الطريقة ، ولايؤخذ إلاّمن الشيخ أو خليفته أو مقدمه ، وذلك لأن الورد يمثل تعاليم الطريقة وعقيدتها أو مذهبها .

ولكل طريقة صوفية شيخ الطريقة(أو مولى الطريقة) ، وهو حامل البركة ، وهو الذي يعطي البركة لغيره ، و هو الذي يعين خليفته و مقدميه ، ويمنح الاجازات ، وتكون إقامة الشيخ عادة عند ضريح مؤسس الطريقة أو في الزاوية الرئيسية ، و يعتبر الشيخ هو ظل الله في الارض ، وعلى الإخوان (أي الاتباع) الطاعة والامتثال لأوامره و توجيهاته.

أما الخليفة فهو المجاز من شيخ الطريقة ، قد منحه البركة وأورثه اياها ، و كلفه بإعطاء الاجازة لغيره ، وكذلك اعطاء الأوراد وادخال المريدين في الطريقة ، وعليه أن ينشر الطريقة و أن يحافظ على سمعتها و مبادئها و أموالها.

وأمّا المقدمون ، فيمنحهم شيخ الطريقة إجازات مختصرة عادة، وتتعلق بتعاليم الطريقة أو بالتزكية و التوصية ، وهم مكلفون بجمع الزيارات التي يعطيها الاخوان للطريقة ، ثم يسلمونها الى

---

[1] - أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 4 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت 1998 ص 17

الشيخ أو خليفته ، كما هم مكلفون باعطاء ورد الطريقة للداخلين الجدد فيها، وكل ذلك يتم حسب طقوس خاصة [1] ، هذا بالاضافة الى اشراف المقدميـــن على جميع الانشطة الصوفية في مقرّهم .

واشتهرت الطرق الصوفية بزواياها ، و لكل طريقة زاويـــة خاصة تنسب الى الطريقة الأم وتمثل الزاوية خلوة للعبادة الصوفية ، وتقوم بدور الرباط ،وتستعمل الزاوية للاجتماعـــات و اللقـــاءات الدورية لأصحاب الطريقة ، وقد تستعمل أيضا للتعليم والـــصلاة الجامعة وإيواء الضيوف .

2- العلاقة بين التصوف و الاحتلال الفرنسي للجزائر

في الوقت الذي تراجعت فيه السلطة الزمنيـــة في مواجهـــة الاحتلال الفرنسي للجزائر ، أخذت الجمعيات الصوفية تلعب دورا هاما في احداث المقاومة ، سواء في الميدان الدينـــي أو الاجتماعي أو السياسي .

ولما أنهزم المقاومون و لم يستطيعوا تحقيق النـــصر و انقـــاذ البلاد، و ظل الأجنبي محتلا للجزائر ، زاد ارتماء المواطن الجزائري في أحضان الصوفية ، ليعيش في عالم الروح والتخيلات لعلـــه يجـــد

---

[1] - سعد الله ، المرجع السابق ، ص 22-23 .

الخلاص على أيدي الشيوخ المتصوفة ، وهو الخلاص الدنيوي من القهر والحرمان و الخلاص الروحي في الآخرة بما فيه من جنة ونعيم.

ولكن الجمعيات الصوفية ، قد ظهرت على غير هذا النحو عند غير المتصوفين ،وعلى هذا النحو عند أتباعها في وقت انسدت فيه أبواب الخلاص وانقطعت فيه وسائل المقاومة أو قلت وضعفت ، ووقعت فيه الجزائر فريسة لجيش متوحش ، وقوة استطانية، وقوانين جائرة ، ومخططات ترمي الى سلب الجزائريين هويتهم ودينهم ، وتحولت الجمعيات الصوفية في كثير منها هي أيضا الى جهاز استغلالي في يد السلطة الاحتلالية .

غير أن غشاوة اليأس ، كان يرفعها من وقت لآخر أولئك الأشراف ،وبعض المتصوفة من شيوخ الزوايا الذين يحملون الدعوة الى الجهاد و يرفعون شعلة الحماس و يعطون للعامة روح العمل .

3-الصوفية و الدور الوطني

نقصد بالصوفية تلك الطرق الصوفية التي تعتبر بمثابة جمعيات دينية متماسكة ومتفرعة عن بعضها البعض تقريبا ، و تعتبر الصوفية الموجودة في الجزائر أو ظهرت فيها بمثابة طرق متفرعة عن أصول خارجية ، منها الكثيرة الاتباع و المنتشرة في انحاء كثيرة من البلاد، ومنها المحدودة الاتباع و المكان .

ومن هذا المنطلق اصبح بالامكان ترتيب الطرق الصوفية في الجزائر حسب قدمها زمنيا ، وفي نفس الوقت لا تطرق إلاّ تلك التي كان لها دور وطني بارز في رأينا و حسب ما وجدناه و هي مايلي [1] :

أ- القادرية

تنتسب القادرية الى العالم المتصوف الشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفي في بغداد عام 561هـ/ 1166م [2] و هناك توجد الزاوية الأم، وتعتمد تعاليم القادرية على العلم والاخلاق و الصبر و الاتقان والصدق، وذكر الله و الخوف منه ، وحب الناس ،والابتعاد عن شؤون الدنيا .

وتعتبر القادرية بمثابة القاعدة لمختلق الطرق الصوفية التي جاءت بعدها .

ويعتبر شعيب بن حسين الاندلسي ، المعروف بـ" أبي مدين" دفين تلمسان و المتوفي بها عام 594 هـ /1197 م ، هو

---

[1] - سعد الله ، المرجع السابق ، ص 42- 43

[2] - عامر هلال ، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب - إفريقيا السمراء ، الجزائر 1988 ، ص 109 .

الذي أسس مدرسة التصوف السني ، ونشر الطريقة القادريـــة في المغرب والأندلس ، وانقطع في حياته للعلم والإصلاح والتوحيد .

وفي القرن التاسع عشر ،كان شيخ القادرية في الجزائر ، والتي كانت سباقة في محاربة الاحتلال الفرنسي ، هو الحاج محي الـــدين (والد الأمير عبد القادر) ، وبعد وفاته خلفـــه في شؤون القادريـــة ابنه محمد السعيد (أخو الأمير عبد القادر).

وبعد هزيمة الأمير عبد القادر أمام الاحـــتلال الفرنـــسي ، وانتقاله إلى الشام ، سافر معه أخوه محمد السعيد ، شيخ القادرية ، ثم بعد وفاة محمد السعيد ، خلفه ابنه محمد المرتـــضي ، في الفـــرع الجديد ببيروت ، وعكف على نشر العلم وأوراد القادرية ، وكان لـــه تلاميـــذ في دمشق وبيروت ، وله نظم في المديح النبـــوي ، ودروس في الوعظ والإرشاد ، وقد قام بشؤون القادرية إلى أن مات عام 1316 هـــ/ 1902 م

وكانت السلطات الفرنسية متزعجة من قضية الأموال الـــتي كان يرسلها مريدوا القادرية في الجزائر إلى الشيخ محمد المرتـــضي ببيروت ، وإلى الزاوية الأم في بغداد ، حيث كان خوف الفرنسيين يرجع إلى كون القادرية كانت جسرا للدعاية العثمانية ، وحركـــة

الجامعة الإسلامية ، وهم يعتبرونها معادية للمسيحية ، سيما وأن الذين ينشطونها هم من أسرة الأمير عبد القادر[1] .

وفي الجزائر ، تفرقت القادرية على قيادات صغيرة ، وانتشرت في مختلف أنحاء القطر ، فكان من رموزها في أواخر القرن التاسع عشر ، كما يلي :

- الشيخ بوتليليس الذي أصبح مقدما للقادرية في نواحي وهران .

-سي الأحول عبد القادر ، في زاوية وادي الخير بين مستغانم وغليزان .

-سي محمد بن عودة في نواحي زمورة بالقرب من غليزان .

-زاوية شلاطة ، وبني عباس بزواوة.

-ابن النحال في زاوية الفجوج بين قالمة وروادي الزناتي.

وظهرت فروع أخرى للقادرية في شرق الجزائر وجنوبها، كان لها دورٍ بارز في مقاومة الاحتلال الفرنسي، أثناء غزوه للصحراء ، ومن زوايا شرق الجزائر، أيضا زاوية تبسة ، وزاوية منعة بالأوراس ، المعروفة بزاوية بالعباس .

---

[1] - سعد الله ، المرجع السابق ، ص 45- 57- 58 .

ومعظم زوايا الشرق الجزائري والجنوب كانت ذات صلة بزاوية نفطة في تونس ، وقد وصل تأثير زاوية نفطة ، على يد شيخها إبراهيم بن أحمد الشريف النفطي ، إلى عين صالح، وتوات، وتيديكلت ، وبلاد الطوارق ، كما قام أبناؤه بتأسيس الزوايا التالية:

-زاوية عميش بوادي سوف، أسسها الهاشمي بن إبراهيم، ونشط في تجنيد الاتباع ، ونشر القادرية إلى أقصى الجنوب، وربط علاقات مع السودان، وغات، وجند العديد من أهل سوف الذين يمارسون التجارة الصحراوية .

-زاوية الرويسات في ضواحي ورقلة ، أسسها محمد الطيب بن إبراهيم ، ونشر في نواحيها القادرية ، وكان له أتباع في الأغواط ، وغرداية ، وبين الشعانبة .

-زاوية قمار في وادي سوف ، أسسها الحسين بن إبراهيم .

-زاوية صحن الشعانبة في وادي سوف ، أسسها محمد الإمام بن إبراهيم .

وذكرت الاحصائيات ، بصفة عامة ، ان عدد أتابع القادرية في الجزائر سنة 1897 كان : 33 زاوية ، و558 مقدما، و 24.578 إخوانيا من بينهم 2.695 إمرأة (إخوانية).

وفي سنة 1906 ، ارتفع العدد إلى 25.000 إخوانيا ، منهم 2.800 إمرأة .

وقد حدث للقادرية ، ماحدث لكل الجمعيات الأخرى في آخر القرن التاسع عشر ، فقد أصبحت جميعها ، تقريبا، تحت رحمة المخابرات الفرنسية ، والضغط المتعدد الجوانب لكي تعمل وفق إرادة المحتل .

ورغم ذلك ، فإن الشيخ الهاشمي ، مقدم زاوية عميش القادرية، كان متقلب المواقف ، فوقف إلى جانب فرنسا عند إعلان الحرب العالمية الأولى، ثم تحول عنها في مظاهرة معادية لها عام 1918 ، عنما كانت تجند العمال للخدمة في فرنسا ، وحيث انطلقت الإشاعات عن أن هؤلاء المجندين سيلحقون بالجيش فور وصولهم إلى فرنسا ، وكانت المظاهرة أمام مكتب القائد الفرنسي بالوادي ، وكان الشيخ الهاشمي على رأسها شخصيا ، مما أدى إلى نفيه إلى تونس بعض الوقت [1].

وبعد وفاة الشيخ الهاشمي بن أبراهيم عام 1923 ، خلفه ابنه عبد العزيز في مشيخة زاوية عميش القادرية بوادي سوف ، وقد قام الشيخ عبد العزيز بالانضمام إلى جمعية العلماء المسلمين

---

[1] - سعد الله ، المرجع السابق ، ص 46 ... 58 .

الجزائريين عام 1937 ، وفتح مدرسة باسمها في زاويته ، وتوجه بالدعوة إلى وفد من الجمعية لزيارة المنطقة ، فكان ذلك من أسباب زيارة الشيخ عبد الحميد بن باديس لوادي سوف، ولزيارة زاوية عميش القادرية عام 1937 .

فما كان من السلطات الفرنسية إلا أن أعلنت حالة الطوارئ في المنطقة ، واتهمت الشيخ عبد العزيز بالجنون واعتقلته وزملائه ، من بينهم المعلمين المصلحين عبد القادر الياجوري ، وعلي بن سعد في سجن الكدية بقسنطينة ، واتهمتهم بالإعداد لثورة بالتواطؤ مع جهات أجنبية ، هي إيطاليا وألمانيا [1].

ب- الشاذلية

تنتسب الشاذلية إلى أبي الحسن علي الشاذلي ، الذي ولد في المغرب الأقصى سنة 593 هـ/ 1196 م ، وتتلمذ على الشيخ عبد السلام بن مشيش ، وأخذ عنه تعاليم التصوف . وابن مشيش نشأ في المغرب الأقصى ، وكان أحد التلاميذ البارزين لأبي مدين

---

[1] - نفسه ، ص 55 .

Rinn (L) Marabouts et khouan , Alger , 1884, p p . 138 – 180 .

-Depont (o) et Coppolani(y) les confréries religieuses musulmanes , Alger , 1897, pp . 367,213, 315.

(شعيب بن حسين الأندلسي) دفين تلمسان ، فتقل عنه التصوف ، وطريقته التـــي تعود إلى القادرية .

وبعد ذلك ، توجه أبو الحسن علي الشاذلي إلى قرية شاذلة ، خارج مدينة تونس ، واختلى فيها بعض الوقت ، ثم توجه إلى مصر واستقر فيها ، ومات أثناء عودته من الحـــج إلى مـــصر ، ســـنة 656هـــ /1258م [1] .

وكان لأبي الحسن علي الشاذلي طريقة خاصة في التـــصوف، وذلك عن طريق ممارسة الأخلاق والفضيلة، والتوحيد.

وتقوم الشاذلية على الرحلة الفكرية ، والتأمـــل المـــستمر في وحدانية الله ، وعلى الهيمان في أرض الله بحثا عن التطهر والتسامي، وعلى إهمال الذات وقمعها في سبيل الله ، وعلى القيام بالصلوات ، والواجبات الشرعية في كل وقت ، وفي كل مكـــان ، وفي كـــل الظروف ، لكي يعيش المريد في وحدة دائمـــة مـــع الله ، وتهـــتم الشاذلية بالعلم الروحاني الذي يقود المريد إلى العيش الدائم في ذات الله .

وفي القرن التاسع عشر ، كان يمثل الشاذلية في الجزائر الشيخ محمد الموسوم بن محمد بن رقية ، المولود حـــوالي 1236هـــــ

[1] - عمار هلال ، المرجع السابق ، ص 101- 105 .

/1820 م ، وهو من بلدة جندل الواقعة في الناحية الجنوبية الشرقية لمدينة خميس مليانة .

وبعد أن أخذ الشيخ الموسوم ورد الشاذلية عن الشيخ عدة بن غلام الله في مازونة ، اتجه إلى جنوب المدية ، وفي بوغار بأعالي قصر البخاري ، أسس زاوية للشاذلية ، عام 1282 هـ / 1865م .

وقد كانت زاوية الشيخ الموسوم نموذجا للعمل الصوفي ، في ظرف شهدت فيه الجزائر الثورات في جميع الجهات ، وغطرسة السلطات الاحتلالية ، ومحاربة تعليم الدين واللغة العربية من قبل السلطات الفرنسية ، وصدور مرسومين مشؤومين ضد الجزائريين وهويتهم : أولهما مرسوم 1863 الذي سهل انتزاع الأراضي من أصحابها ، وحل النظام القبلي . والمرسوم الثاني أعلن أن الجزائريين رعايا فرنسيون، لا حقوق لهم في الحياة السياسية والمدنية، ولا جنسية لهم ، إلا إذا تخلوا عن أحوالهم الشخصية .

وكان الشيخ الموسوم بارعا في علوم اللغة والأدب والبلاغة والفقه وعلم الكلام ، واشتهر بالعلم والتقى والزهد والغيرة الدينية .

وتفرّغ الشيخ الموسوم للوعظ والإرشاد في زاويته بقصر البخاري، ويعلم مبادئ الدين والتصوف، وكان ذلك وسيلة من وسيلة في الجهاد ضد الاحتلال .

ورغم رقابة سلطات الاحتلال للشيخ الموسوم في برنامجه التعليمي ، وفي أذكاره الصوفية، فقد تخرج على يده عدد من التلاميذ في العلم والتصوف ، منهم الشيخ محمد الشرقي العطافي ، والشيخ قدور بن محمد بن سليمان المستغانمي[1].

وبعد وفاة الشيخ الموسوم عام 1300 هـ / 1883 م ، حمل بركته الصوفية ابنه أحمد المختار ، وخلفه على رأس الزاوية .

لكن الشيخ أحمد المختار، جاء في وقت أخذت فيه السلطات الفرنسية تضيق الخناق على رجال التصوف، وفي نفس الوقت، لم يكن في درجة والده علما وموهبة ، فتفرعت الزاوية إلى فروع عديدة في عهده ، ولم تحافظ على وحدتها .

وقد أسس تلاميذ الشيخ الموسوم زوايا فرعية ، لم تكن تدين بالولاء لزاوية قصر البخاري الأم ، ففي مدينة ثنية الأحد ، أسس الشيخ أحمد بن أحمد زاويته ، وكانت تتوسع على حساب الزاوية الأم ، وهناك فرع الشيخ قدور بن محمد بن سليمان المستغانمي ، الذي توفي عام 1322 هـ / 1905 م ، ودفن في زاويته ، وكان

---

[1] - سعد الله ، المرجع السابق ، ص 64 ... 73 .
- أبو القاسم محمد الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف ، الجزائر 1906 ، ج 2 ، ص 330 ، ص 516 .

يشبه شيخـــه الموســـوم في الجمع بين العلم والتصوف ، وفي العطاف كان الشيخ محمد الشرقي العطافي ، المتوفي عام 1341 هـــ /1922م قد استقل بزاويته و لم يعترف بزاوية قصر البخاري الأم .

وقد التقى الشيخ الحفناوي (صاحب كتاب تعريف الخلف برجال السلف) بالشيخ أحمد المختار عام 1321هـــ/1904 م ، وأخذ منه سيرة والده ، لكن أثناء الحرب العالمية الأولى ، كان على رأس الزاوية عبد الرحمن بن الموسوم ، ومع ذلك ، لم تزدد زاوية قصر البخاري سمعة ، و لم تحافظ حتى ما كانت عليه .

ومن غير ذلك ، كان للشاذلية فروع أخرى منتشرة في البلاد، منها : فرع ناحية اليدوغ ، بالقرب من عنابة ، والذي كان يشرف عليه الشيخ بالقاسم بن الحاج سعيد ، المعروف "بوقشبية" .

وجاء في احصائيات عام 1897 ، أنه كان للشاذلية فـــي الجزائـــر : 11 زاويـــة ، و99 مقدما، و195 طالبا ، و 14.206 من الأتباع [1] .

وفي أوائل القرن العشرين ، كان من أشهر رجال الشاذلية : الشيخ محمد بن يلس ، المولود بتاريخ 1264 هـــ / 1847 م ،

---

1 - سعد الله ، المرجع السابق ، ص 75 ... 77 .
Depont et Coppolaui ,op.cit . pp. 449,451,454.

والذي هاجر مع أسرته من تلمسان إلى دمشـــق، عام 1330 هـــ/1911م، وواصل هناك مشيخة الشاذلية في زاوية يحي الشاغور، وجلس للتدريس في جامع عز الدين ، وفي بيته ، وكان له مريدون ، وله ديوان شعر ، وبعض المؤلفات ، ولما توفي الشيخ محمد بن يلس عـــام 1346 هـــ/ 1927 م بدمشـــق ، خلفـــه في الزاوية ، ومشيخة الشاذلية هناك ، تلميذه الشيخ محمد الهاشمي التلمساني ، الذي هاجر معه أيضا [1].

أما الشاذلية الأم، فمنذ أن انتشرت في المشرق الإسلامي، وفي المغرب، وكثر أتباعها، خرجت منها فروع عديدة ، ويعود كل فرع إلى شيخ مؤسس مستقل ينتسب إليـــه [2].

ولكن لا يهمنا في هذا المجال إلا الفروع أو الطرق الصوفية ، التي لعبت دورا وطنيا ، ولو نسبيا ، أو التي كان لها زوايا وأتباع في الجزائر في الفتـــرة المحـــددة ، وخوفا من تأثيرها في المجتمع ضد سياسة الاحتلال ، قامت السلطات الفرنسية بمحاربتها بشتى الوسائل والأساليب .

[1] . سعد الله ، المرجع السابق ، ص 80 – 81 .

[2] - Rinn ,op.cit. pp.227…264 .

ج- الزروقية واليوسفية

هي إحدى فروع الشاذلية ، وتنسب إلى الشيـــخ أحمـــد زروق البرنوســـي الفاســـي ، دفين مصراته ، والمتوفي عام 899 هـ /1493 م .

وكان أحمد زروق قد أقام في الجزائر ، وبجاية ، وقسنطينـــة، في أواخـــر القـــرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) ، وهو من العلماء المتصوفـــة ، وكان معلما وفقيها .

وكانت الزروقية منتشرة في تلمسان، وبجاية، وقسنطينة، وكان مـــن أنصـــارها عبد الرحمن الأخضري ، وعبد الكريم الفكون [1].

[1] - عبد الرحمن بن محمد الصغير بن بن محمد عامر الخضري ، اديب ، منطقي ، لـــه مشاركة في العلوم ، من أهل بسكرة ، ولد عام 918 هــ/1512م ، وتوفي عام 983 ه/1575م ، وضريحه مشهور في زاوية بنطيوس من قرى بسكرة ، وله كتب في البيان والمنطق .

- عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون القسنطيني ، أديب لغوي محدث جمع بين علمي الظاهر والباطن ، وكان عالم المغرب الأوسط في عهده . ولد في قسنطينة عام 988 هـ / 1580 م ، وتوفي بها عام 1073 هـ /1662 م

- أنظر عنهما : - عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر ، بـــيروت ، 1971 ص 90 ، 97 .

أما في القرن التاسع عشر ، فكان من انصار الزروقية : الشيخ الطيب بـــن الحاج البشير، في ضاحية أولاد طريف بنواحي البرواقية، والشيخ ابن جدو في مسكيانة (بين عين البيضاء وتبسة).

ودل إحصاء سنة 1897 ، انه كان عدد أتباع الزروقية 2.734 أخوانيا ، موزعيـــن في مناطق محدودة ، كالبرواقية ، وتابلاط ، وسور الغزلان .

ومن تلاميذ الشيخ احمد زروق ، اشتهر أحمد بن يوسف المليانى ، وهو مـــن قلعـــة بني راشد ، وتوفي في مليانة ، ودفن فيها، عام 931هـــ/1524 م . كما هو من خريجي مدرسة تلمسان الفكرية ، وكان للشيخ المليانى اتباع في مليانة ونواحي تلمسان .

وكان الشيخ المليانى حليفا للنظام العثماني ، واستمر أحفاده كذلك، فتعرضوا لاغتيالات ، بتشجيع من الفرنسيين الذين ينسبون ذلك إلى خصوم طريقتهم اليوسفية ، وهذا لإبقاء التوتر بين الطرق الصوفية .

أبوعمران الشيخ وعلي علواش : معجم مشاهير المغاربة ، جامعة الجزائر ، 1995، ص 31، 425 .

فقد أغتيل مصطفى ولد الحاج الساحلي عام 1289 هـ / 1872 م ، وكان قائدا في نواحي تلمسان [1]. ثم تولى القيادة مكانه أخوه الحاج المليانـي ، فوقع اغتياله عام 1313 هـ/1895م، كما أغتيل أخ لهما عام 1298 هـ/ 1881 م .

أما الزاوية اليوسفية ، المنسوبة إلى الشيخ أحمد بن يوسف الملياني، فكان يتولى شؤونها، في سنة 1315 هـ/1897م، الشيخ زروق. وهذا بعد رحيل أخيه الشيخ عبد القادر إلى تلمسان ، لكن الشيخ زروق كان زاهدا متعبدا مختليا بنفسه ، لذلك كان المشرف الفعلي على الزاوية اليوسفية هو أخوه الشيخ مولاي [2].

ويدل إحصاء 1897 م ، أن ليس لليوسفية كثير من الأتباع، ويتركز معظمهم في النواحي الغربية من البلاد ، ولها في الجزائر زاوية واحدة ، وخمسة مقدمين ، و1.446 من الإخوان [3].

---

[1] سعد الله ، المرجع السابق ، ص 79 ، ذكر المكان باسم " طيوط " لكننا لم نعثر إلا على " عين تلوت " بين تلمسان وبلعباس .

[2] - المرجع نفسه ، ص 78 ... 80 .

[3] Depont et Coppolani, op .cit.p.459

د- العيساوية

هي فرع من الشاذلية ، وتنتسب إلى مؤسسها الشيـــخ محمد بن عيســـى ، المتوفي عام 931 هـــ / 1524 م ، ودفين مكناس في المغرب الأقصى .

وفي عام 978هـــ/1570م ، جاء من المغرب الأقصى شخص يدعى علال إلى بلدة وزرة ، قرب مدينة المدية ، وكون أسرة فيها تنتسب إلى العيساوية ، وهو من نسل محمد بن عيسى مؤسس زاوية مكناس ، وقد تأسست الزاوية العيساويـــة في وزرة ، عـــام 1203هـــ /1788 م ، على يد أحد أحفاد علال المغربي

وقد اتخذت العيساوية طابعا يختلط فيه الجد والهزل ، والدين والشعوذة ، وذلك تنفيسا على الروح المكبوتة ، وتفجيرا لما في داخل الإنسان من غم وهم ، ولكن باستخدام وسائل العنف ضد الجسد ، وتبسيط الدين إلى درجة القيام بأعمال السحر والخرافة .

ورغم استنكار المتنورين ما يأتي به بعض أتباع العيساوية من ممارســـات سلبيـــة ، إلا أن أتباعها كانوا يقومون بأعمال اعتبرها بعضهم مفيدة ، كمداواة المرضى .

ومن الأعمال الوطنية التي قامت بها زاوية وزرة التي تمثل مشيخة العيساوية ، هي أنها قاومت الفرنسيين إلى سنة 1258هـــ /

1842 م حين احتلوا المدية ، وبعد ذلك ظل الفرنسيون يخشون أتباع العيساوية لشعبيتهم .

وفي آخر القرن التاسع عشر ، كان للعيساوية في الجزائر ، زاوية وزرة الأولى ، وشيخها عندئذ هو علي بن محمد بن الحاج علي بن علال ، المقيم في البرواقية ، قـــرب المدية ، وهناك زاوية الرمشي قرب تلمسان ، وشيخها يومئذ الكزولي ولد الحاج محمد ، وهي زاوية لها أهمية ، ولشيخها سمعة بين الأهالي على أنه بهلواني ، ثم هناك فـــرع آخـــر في قسنطينة ، وله فيها زاوية ويتبعه مركز عنابة[1].

ولكن رغم انتشار العيساوية في وسط الجزائر وغربها وشرقها، فإن اتباعها مع ذلك قليلون ، ففي سنة 1897 ، كان لها 13 زاوية ، و45 مقدما ،و 3589 إخوانيـــا من بينهم 33 من النسوة ، وفي سنة 1906 ، بلغ عددهم 4000 إخوانيا[2].

---

[1] سعد الله ، المرجع السابق ، ص 81 ... 85 .

[2]- Rinn .op.cit.pp.303…334 –

– Depont et Coppolani .op.cit .p.353.

هـ - الكرزازية

ظهرت في الجنوب الغربي للجزائر ، وهي فرع آخر من الشاذلية ، وتسمى أيضا "الأحمدية " ، نسبة إلى مؤسسها الشيخ أحمد بن موسى الحسني مولى كرزاز، المتوفي عام 1016هـ/1608 م . وكان الشيخ أحمد أحد الأشراف في المنطقة ، اشتهر بالعلم والورع ، إلى أن أصبح مقدما للشاذلية ، التي أخذها على شيخيه أحمد بن يوسف الملياني ، واحمد بن عبد الرحمن السهيلي ، وكان مقدما للشاذلية في وقته ، وكانت له زاوية في وادي قير .

وتوجد الزاوية الأم جنوب القنادسة في الطريق المؤدي إلى توات ، وتمر السلسلة الكرزازية في أحفاد الكرزازي إلى ان تصل إلى الشيخ الكبير بن محمد المتوفي عام 1881 م ، ثم احمد بن الكبير بوحجامة المتوفي عام 1896 م ، ثم عبد الرحمن بن محمد . وهو الخامس عشر في السلسلة ، والذي كان شيخا للزاوية عام 1897 م

وتشرف على الزاوية هيئة نشيطة ، تتمثل في الشيخ ، وخليفته ، والمقدمين ونوابهم ، وخدم يقومون بالواجبات الدنيوية للجميع ، وفي الكرزازية . لا تعطى الإجازات للإخوان البسطاء الدين لم يبلغوا درجة من العلم . والذكاء ، و حسن التدبير .

وبالاضافة إلى الجانب الديني والصوفي ، يقوم المقدمـــون ونوابهـــم بالإصـــلاح بين الناس ، وكانت الزاوية الكرزازية تقوم بحماية قصور الصحراء ، والتجار ، وضحايا الاعتداءات في الطرق التجارية الصحراوية . كما كانت تعتبر ملجأ للفارين والفقـــراء ، وقد لاحظ الفرنسيون أن أولاد سيدي الشيخ كانوا دائما يجدون الملجأ في زاوية كرزاز ، رغم الموقف الحيادي لها [1].

وينتشر أتباع الكرزازية ، في الجزائر خاصة ، مابين تلمسان شمالا إلى القرارة وتوات جنوبا ، مرورا بوادي الساورة ، وأثبت إحصاء عام 1897 م أن الكرزازية تشرف على حوالي عشر زوايا أخرى ، ولها 78 مقدما ، وحوالي ثلاثة آلاف من الاخوان [2] .

و- الشيخية

تنتسب إلى سيدي الشيخ عبد القادر بوسماحة ، دفين الأبيض سيدي الشيخ ، والمتوفي عام 1023هـ/1615م ، وكان مؤســـس الشيخية ، هذا ، مقدما للشاذلية على يد محمد بن عبـــد الـــرحمن السهيلي ، الذي أخذها ، بدوره عن أحمد بن يوســـف المليـــاني ،

[1] - سعد الله ، المرجع السابق ، ص 88 ... 90 .

[2] Depont et Coppolani,ibid.p.502. -

وأوصى سيدي الشيخ عبد القادر بوسماحة أولاده ، عند وفاته باتباع تعاليم الشاذلية [1].

وانقسم أولاد سيدي الشيخ عبد القادر إلى ثلاثة أقسام :

قسم استقروا في قصر الأبيض سيدي الشيخ حول قبر أبيهم ، واستقر فرع بزعامة الابن الأكبر الحاج أبي حفص في شرق قصر الأبيض سيدي الشيخ ، وأسسوا لأنفسهم زاوية خاصة ، وسموا بأولاد سيدي الشيخ الشراقة . واستقر فرع بزعامة الابن الثالث الحاج عبد الكريم في غرب القصر الأبيض ، وانشأوا لأنفسهم زاوية خاصة كذلك، وسموا بأولاد سيي الشيخ الغرابة.

وتمتد السلسلة الشيخية من سليمان بن بوسماحة إلى ابنه محمد، إلى حفيده سيدي الشيخ عبد القادر ، إلى الحاج بوحفص والحاج عبد الكريم [2] ، إلى ابن الدين العربي ، إلى بوبكر مولى

---

[1] - سعد الله ، المرجع السابق ، ص 103 – 104

[2] - هو الحاج عبد الحكيم عند سعد الله ، والحاج عبد الكريم عند يحي بوعزيز ، ومقر أولاد سيدي الشيخ لا نظنه البيض الذي ذكره سعد الله ، وإنما قصر الأبيض . كما يعطي يحي بوعزيز تاريخ وفاة سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد في 1830 ، ونظن ذلك خطا مطبعيا ، لأنه لا يتماشى مع السلسلة الشيخية .

- أنظر : يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ج1 ، ص 163 الجزائر ، 1996 .

الجماعة ، إلى النعيمي ، إلى بوبكـــر الصغير ، إلى حمزة(المولـــود عام 1276 ه/ 1859 م)، وهو الذي كان متوليا لوظيفة آغا جبال عمور ، في أواخر القرن التاسع عشر ، وقد ورث السلسلة معه إخوته : سليمان ، ومحمد ، وأحمد ، وقـــدور ، وابن أخيه العربي .

لقد كان أولاد سيدي الشيخ ، وارثين لمجد عائلي وديني ، فجلب إليهم ذلك مكانة مرموقة بين الناس ، وزادهم أهمية وضعهم الجغرافي ، المفتوح على الطرق الصحراويـــة جنوبا ، والتلية شمالا . فاستغنوا بالدين والتصوف ، وتحكموا بالسياسة والجاه ، وكونوا اتحادا كبيرا من الأعراش والقبائل ، واهتموا بالقوة الروحية الدينية والصوفية ، وبالحياة لدنيوية معا ، ونشروا طريقتهم الدينية عن طريق سلطتهم السياسية [1].

لكن في اواخر القرن التاسع عشر ، كان أولاد سيدي الشيخ تمزقهم الخلافات العائليـــة ، والأطماع الفردية ، وتتحكم فيهم الظروف الخارجية ، لقد كانوا يثورون ، ويتراجعون بدون نتيجة ، رغم مكانتهم الكبيرة ، وثقافتهم الروحية الصوفية ، ووزنهم السياسي والجغرافي .

---

[1]Deveyrier (H) , Exploration du sahra , Paris, 1905 , p 31

Rinn , op.cit . pp .349 ...368.

ومن الفروع الدينية لأولاد سيدي الشيخ ما يسمى "العمامية" ، نسبة إلى الشيخ بوعمامة ، وهو محمد بن العربي بن ابراهيم من ذرية سيدي التاج ، الذي هو واحد من أولاد سيدي الشيخ عبد القادر بوسماحة ، وينتمي الشيخ بوعمامة محمد بن العربي إلى فرع الغرابة ، وقد نشأ بقصر الحمام الفوقاني في فجيج (شرق المغرب الأقصى) ، وتثقف ثقافة دينية ولغوية ، ودرس على أحد مقدمي الشيخية في الناحية ، وهو محمد بن عبد الرحمن .

وفي حوالي عام 1291هـ/1874م ، انتقل الشيخ بوعمامة إلى المقرار التحتاني[1] ، جنوب عين الصفراء بالجنوب الغربي للجزائر ، وهو في الطريق المؤدي من الأبيض سيدي الشيخ إلى فجيج غربا ، وهناك أسس زاوية له ، فارتفعت سمعته وتكاثر زواره .وفي عام 1292هـ/1875م ، أصبح الشيخ بوعمامة مقدما للطريقة الصوفية الشيخية في المقرار، واشتهر أمره[2].

وفي هذه الظروف ، كانت تنتشر دعوة جمال الدين الأفغاني، وحركة السلطان عبد الحميد العثماني الداعية إلى جمع شمل

---

[1] - بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 289 – 290

[2] - سعد الله ، المرجع السابق ، ص 105 ... 111 .

المسلمين في إطار الخلافة الإسلامية ، ومقاومة الزحف الاستعماري الأوروبي وسيطرته على البلدان العربية والإسلامية ، كما كانت الحركة السنوسية نشيطة في المناطق الصحراوية ، وتبث الدعوة ضد الاحتلال الفرنسي والأوروبي عامة .

وكان الشيخ بوعمامة رجل دين متحمس ، وصاحب زاوية ينشد هو الآخر إصلاح المجتمع الجزائري ، الذي هو جزء من المجتمع العربي والإسلامي ، فأعلن الثورة ضد الاحتلال الفرنسي عام 1299هـ/1881 م .

وقد حاول الشيخ بوعمامة أن يكون خليفة الشيخية الصوفية ، وان يوحد أولا سيدي الشيخ المتفرقين عن طريق الروابط الروحية والعائلية ، وذلك بإنشاء قيادة واحدة ، لكن الفرنسيين كان لا يرضيهم ذلك ، سيما وان في هذه الفترة ، كانوا يسعون بين الجماعات الصوفية كلها ، حتى لا تتوحد ، ولا تصبح خطرا يهدد مصالحهم ، وقد نجح الفرنسيون في عزل أولاد سيدي الشيخ الآخرين من الانضمام للثورة ، وبالتالي إضعافها ، ثم إفشالها، مع عوامل أخرى أدّت إلى ذلك.

ومع ذلك ، ظل الشيخ بوعمامة في الجهاد والمقاومة ، ضد الاحتلال الفرنســـي ، حتى توفي بضواحي وجدة ، عام 1908 م ، عن عمر يناهز سبعين عاما [1].

أما عن الشيخية الصوفية ، بصفة عامة ، فقد جلب أولاد سيدي الشيخ العبيـــد والخدم ، ثم حرروهم ، وجعلوهم يقومون بشؤون الدين والزوايا، ولكن الثورات العديدة أثرت على المداخيل، وعلى المشيرفين أيضا، وينتشر أتباع الشيخية في الجنوب الغربي للجزائر ، وقد كان لها عام 1897م أربع زوايا، و45 مقدما، و10.216 إخوانيا ، من غير الرعايا الدنيويين أو السياسيين . [2]

ز- الزيانية

وهي شاذلية، تأسست بالقنادسة في الجنوب الغربي الجزائري، على يد الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن بوزيان المتوفي عام 1145هـ/ 1733م .

وورثه ابنه محمد الأعرج للسر والبركة الصوفية ، واتجه الخليفة الأول الشيخ محمد الأعرج نحو التعليم والدعوة للدين

---

[1] - بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 304 .

[2] Depont et Coppolani, op . cit. pp.475 –477.

والتصوف ، وفق التعاليم الزيانية ، وبعد وفاته عام 1175 هـ/1761 م ، تتابع الخلفاء ، فكانوا كالتالي :

جاء الخليفة الثاني ، هو أبو مدين بن محمد الأعرج ، الذي بنى جامع القنادسة ، وزاوج بين الدنيا والآخرة ، فتعاطى التجارة وأصبح من الأثرياء ، وتوفي عام 1204هـ/1790م.

ثم الخليفة الثالث، وهو محمد بن عبد الله بن أبي مدين، وقد توفي عام 1242 هـ/1826م .

ثم الخليفة الرابع، وهو أبو مدين بن محمد بن عبد الله، وكان أديبا وشاعرا، إلى جانب الفقه والتصوف، وتوفي عام 1268هـ/1852م .

وأظهر الخليفة الخامس محمد المصطفى، عطفا خاصا على الفقراء والأيتام، وتوفي عام 1275هـ/1858 م .

أما الخليفة السادس، مبارك حفيد محمد المصطفى، فلم يبق إلا تسعة أشهر، ثم ترك شؤون الزاوية لأخيه .

ثم جاء الخليفة السابع، وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن المصطفى، وقد طال عهده إلى عام 1312هـ/1895 م.

أما الخليفة الثامن ، فهو ابراهيم القندوسي بن محمد بن عبـــد الله ، وقــد توفــي عام 1913 م .

ثم كان الخليفة التاسع ، بن أخ ابراهيم القندوسي ، وهو محمد بن الأعـــرج ، والذي توفي عام 1934 م .

وبعد ذلك جاء الخليفة العاشر، وهو عبد الرحمن بن محمد بن الأعرج.

وكانت الزيانية تقدم خدمات كبيرة في ناحيتها ، منها تسهيل حركة القوافل والتجـــارة، وتتدخل للصلح بين الناس، وتقدم زواياها الضيافات للعابرين، وتؤوي المهزومين والهاربين، فلقد سمح شيخ الزاوية بلجوء بعض ثوار بوعمامة عنده .

وفي الجنوب ، تقع زاوية رقان الشاذلية أيضا ، وكان شيخها هو مولاي الحسن بن عبد القادر ، الذي فرّ من رقان إلى تافيلالت، عند احتلال الفرنسيين توات ونواحيها ، وكان لزاوية رقان علاقة بزاوية القنادسة شمالا ، وكان نفوذها يمتد إلى توات ، والقرارة ، وتيديكلت، ومنطقة الطوارق جنوبا، حتى تمبكتو ، وكانت الزاوية، كذلك، مركزا لحل مشاكل الجهة ، فيأتيها الناس من أجل ذلك [1].

---

[1] سعد الله ، المرجع السابق ، ص 90 ... 94 .
- Rinn , op . cit , p . 408

ح- الرحمانية

تنتسب إلى الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري الزواوي الجرجــري المتوفــي عام 1208هــ/1793 م ، وهو من قبيلة آيت اسماعيل من عرش قشطولة . تعلم في البداية بزاوية الشيخ الصديق بن اعراب ، بالأربعاء نايت إيراثن ، ثم ارتحل إلى المشرق في حدود عام 1152 هــ/1740 م ، وبقي هناك ما يزيد عن ثلاثين سنة ، فأخذ العلوم في جامع الأزهر ، وفي المشرق تلقى الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري ، تعاليم الطريقة الخلوتية الشاذلية، على الشيخ محمد بن سالم الحفناوي ، وحوالي عام 1177هــ/1764 م ، عــاد إلى قريته آيت اسماعيل، فأسس بها زاوية ، وأخذ ينشر أفكاره وطريقته ، وقبل وفاته عيّن خليفة له في إدارة الزاوية الشيخ علي بن عيسى المغربي ، فتولى شؤونها من عام 1208هــ/1793م إلى عام 1251هــ/1836م[1] .

وقد عين الشيخ ابن عبد الرحمن الأزهري مقدمين أثناء حياته منهم محمد بن عبد الرحمن باش تارزي في قسنطينة ، والذي أصبح نائبا عنه في منطقة الشرق والجنــوب الجزائري ، وحتى في تونس .

---

[1] - علي علواش ، " الأزهري " ، المرجع السابق ، ص 37 – 38 .

وتحالفت الرحمانية مع القادرية على الجهاد ضد الاحتلال منذ 1830 ، وانتشرت الرحمانية بسرعة .

وبعد علي بن عيسى المغربي ، تولى شؤون الزاوية الأم الشيخ بلقاسم بن الحافظ ، وهو من شيوخ المعاتقة ، وقد ساعد عهده على استقلال فروع الرحمانية في المناطق الشرقية والجنوبية من الجزائر .

وحوالي عام 1259 هـ/ 1844م، تولى شؤون الزاوية الرحمانيـــة الحاج عمـــر ، وهو الذي لعب دورا في مقاومة زواوة عام 1857م ، وهدّمت الزاوية في عهده على يد الجنرال "ديفو" . واضطر الحاج عمر إلى الهجرة إلى تونس ثم إلى الحجاز[1] .

وبعد الحاج عمر ، كان محمد الجعدي شيخا للرحمانية ، ثم جاء بعده الشيخ محمد أمزيان الحداد الذي استقر في صدوق ، وأدار شؤون الزاوية إلى ثورة 1871 م، وفي عهده اشتهرت زاوية الصدوق بالعلم والحيوية ، ورغم مكانة الشيخ الحداد ، فإنه لـــم

[1] - سعد الله ، المرجع السابق ، ص 141 ... 143 .

– Cour "recherches sur l'état de confréries religiuese musulmanes " , revue africaine , 1921, pp.329 ...33

يستطيع أن يوحد فروع الشرق والجنوب التي ظلت تشعر بالاستقلال لبعدها عم المركز [1].

وقد مرّت الرحمانية ، في مقرّها ونواحيه ، بهزّات عنيفة ، منذ عام 1871. حيث استجاب الإخوان هناك لنداء الجهاد الذي أصدره الشيخ الحداد في 08 أفريل 1871 ، ونتيجة لذلك خربت زاوية صدّوق ، وسجن شيخها في 13 يوليو ، وقبض على ابنيه عبد العزيز ومحمد ، وحوكم المقدّمون والوكلاء ، وأعدم عدد منهم ، وشرّد الباقون ، وطوردوا إلى حدود تونس وصودرت أملاكهم ، ووزّعت على المستعمرين ، وأقام الفرنسيون قرية استيطانية على أرض الزاوية وأوقافها ، وأصبح أهلها خدما لدى المستعمرين [2].

ورغم أن الشيخ محمد بن بلقاسم الحسني البوجليلي العباسي كان مقدّما للشيخ الحداد ، في زاوية بوجليل ، بدوار تيقرين ، ناحية آقبو ، إلا أنه ركز على العلم والتعليم بدل التصوف ، وقد انكب على التعليم والتأليف وخدمة الدين ، فاشتهر أمره ، وورد عليه الطلاب ، فكان يجيزهم بالعلم ، لا بالذكر .

وبعد موت الشيخ الحداد في سجن الكدية بقسنطينة ، خلفه تلميذه الحاج علي بن الحملاوي بن خليفة ، وهو مقدمه في

---

[1] - سعد الله ، نفسه ، ص 145 ، 168 ، 170 .

[2] Rinn , op.cit . p 474 .

زاوية أولاد عبد النور ، وبذلك تحول مركز الزاوية الرحمانية إلى وادي العثمانية بنواحي قسنطينة ، وأصبح لابن الحملاوي مقدموه في زوايا فرعية لوادي العثمانية [1].

أما فرع قسنطينة ، فقد ورّثه الشيخ باش تارزي لأبناء عائلته، كما ورّث بركة الطريقة أيضا للشيخ محمد بن عزوز البرجي ، ببرج طولقة .

وكان الشيخ محمد بن عزوز مقدما للرحمانية ، بنواحي بسكرة ، فاشتهر ، وكثر أتباعه وفروعه في الجنوب.

وكان الحسين بن محمد بن عزوز خليفة للأمير عبد القادر على الزيبان ، قبـــل اعتقالته ونفيه.

وبعد احتلال بسكرة عام 1844م ، هاجر الشيخ مصطفى بن محمد بن عـــزوز ، وهو الذي خلف والده ، إلى نقطة بتونس ، وأسس بها زاوية رحمانية ، أصبحت ذات شهرة واسعة في العلم والتصوف ، وملجأ للهاربين من ظلم الاستعمار الفرنسي ، سيما قبل احتلال تونس عام 1881م [2].

---

[1] - Depont et Coppolani , op.cit . p 390 .

[2] - سعد الله ، المرجع السابق ، ص 146 ... 150 .

وقد عينّ الشيخ محمد بن عزوز ، قبل وفاته ، مقدمين من تلاميذه ، وهم : علي بن عمر في طولقة ، والمختار بن خليفة الجلالي في أولاد جلال ، وعبد الحفيظ في خنقة سيدي ناجي ، بالزيبان ، ومبارك بن خويدم ، والصادق بن الحاج في الأوراس.

ثم أضيف فرع الهامل ، بقرب بوسعادة ، والذي تولاه محمد بن القاسم ، بعدما أخذ عن الشيخ المختار بن خليفة الجلالي ، وفرع وادي سوف الذي تولاه الشيخ سالم بن محمد الأعرج، بعدما أخذ عن الشيخ علي بن عمر[1] .

ولم يتدخل الشيخ علي بن عمر مباشرة في السياسة ، فقد فتح الزاوية للجميع ، وكان يعلم ، ويطعم الفقراء ، ويصلح بين الناس ، كما أنشأ مكتبة ، وأورث بركته الصوفية لابن أخيه علي بن عثمان ، وقد اتبع خلفاؤه سيرته .

أما الشيخ المختار بن خليفة الجلالي ، فقد ساند ثورة الزعاطشة ، قرب بسكرة ، عام 1849، وأرسل النجدة إلى الشيخ بوزيان ، زعيم الثورة هناك ، واستجابت الرحمانية على يده لداعي الجهاد ، وبذلك جمع الشيخ المختار بن خليفة بين التعليم والجهاد

[1] ـ الحفناوي ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 399 ، 485 .

والتصـــوف ، وعمّ نفوذه اولاد نائل والسحاري ، وقد شارك في انتفاضة عام 1861 بالخنقة .

وكذلك الشيخ عبد الحفيظ الخنقي، عمل على نشر التعليـــم والأذكـــار الصوفيـــة في خنقة سيدي ناجي ونواحيها ، ورغم تقدم السن به وتفرغه للعلم ، فقد شارك في ثورة الزعاطشة ، ودعا للجهاد ، ودخل المعركة حتى استشهد فيها .

وأنشأ الشيخ الطاهر بن الصادق بن الحاج زاوية رحمانية في جبل أحمر خـــدو بالأوراس ، وهي التي تخرج منها محمد بن عبد الرحمن الذي ظهـــر فـــي ثـــورة الأوراس عام 1879[1].

وظهر فرع آخر في الأوراس ، على يد الشيخ الهاشمي بن علي دردور ، من عرش أولاد عبدي ، وكان تلميذا في زاوية الخنقة الرحمانية ، واصبح مقدما لها ، بمدونة ونواحيـــها ، ونتيجة لوقوفه ضد الاحتلال ، فعوقب بالنفي إلى كورسيكا عام 1880 [2].

أما الشيخ محمد بن أبي القاسم بن ربيح ، الذي استقر بالهامل ، قرب بوسعادة ، فأخذ ينشر التعليم ، وبنى زاوية للعلم والطريقة الرحمانية، وذلك ليستقبل فيها الزوار الغربـــاء،

---

1 - Rinn , op.cit. p .460.

2 - Depont et Coppolani , op.çit . pp .395, 412.

والضيوف، ولكي يجد فيها الطلبة سكناهم ، وقاعات دروسهم ، وبعد وفاته ، تولت ابنته السيدة زينب شؤون الزاوية ، وظلت على رأسها إلى وفاتها عام 1904م [1] .

وقد قيل أن الرحمانية كانت وراء انتفاضة عين التركي سنة 1901م ، التي وقعت بالقرب من مليانة ، والتي قادها الشيخ يعقوب الرحماني[2] .

كما أن انتفاضة الشيخ عمر بن عثمان التي حدثت عام 1906 بالقصرين ، في أعقاب انتفاضة الشيخ يعقوب كانت أيضا رحمانية[3] .

وفي سنة 1906 ، وصل عدد الإخوان الرحمانيين إلى 133.500 من بينهم أكثـــــر من 13.000 من النساء ، في المناطق التي شملها إحصاء " هنري قارو" ، وهي كما يلي[4] :

-وادي العثمانية : 40.000 من الإخوان، و 40 زاوية .

-آقبـــــــــــو : 09.000 من الإخوان، و 22 زاوية .

---

1 - الحاج مزاري ، المرجع السابق ، ص 21 ... 32 .

2 - Garrot Henri ," le mouvement islamique , bulltin de la societe de geographie d'Alger et de l'Afrique du Nord . 1906 ,p 187 .

3 - سعد الله ، المرجع السابق ، ص 151 ، 156 ، 163 ، 179 .

4 - Garrot , op.cit . p .171

- قسنطينة : 10.000 من الإخوان ، و08 زاوية .

- طولقة : 16.000 من الإخوان ، و17 زاوية.

- الهامل : 43.000 من الإخوان ، و29 زاوية .

- أحمر خدو : 02.000 من الإخوان ، و 03 زاوية .

- نفطة : 13.000 من الإخوان ، و15 زاوية .

وقد لاحظ الدكتور سعد الله ، أن هذا الإحصاء لم يشمل بقية الفروع الأخرى للرحمانية ، كوادي سوف والخنقة ، وأولاد جلال [1] .

ط- السنوسية

تنتسب السنوسية إلى الشيخ محمد بن علي السنوسي ، الذي ولد حوالي عام 1202 هـ / 1787 م ، بالقرب من مدينة مستغانم ، وتوفي عام 1276 هـ /1859 م ، بليبيا ، وقد نشأ في أسرة علم ودين ، وتنقل في أسفاره بين بلدان المغرب والمشرق ، وتعرف على أوضاع العالم الإسلامي ، ودرس العوامل المؤثرة في انحطاط المسلمين ، وكان للسنوسي اهتمام بعلوم كثيرة، إلى جانب الاشتغال بالتصوف ، كالفقه ، والتفسير ،والحديث ، والأنساب ،

---

[1] - سعد الله، المرجع السابق ، ص 178 .

والتراجم ، والسياسة ، وعلم الفلك ، والمناظرة ، وله في ذلك كتــب ورسائـــل [1].

غادر محمد بن علي السنوسي الجزائر إلى فاس عام 1237 هـــ/1821 م ، وتتلمـــذ في فاس على مشايخ القرويين وغيرهم ، وفي عام 1829 ، غادر البلاد متجها إلى الحج ، وكان يتوقف في الطريق ، وقد انتصب للتدريس في بعض البلدان مثل الأغواط ، حيث درّس الفقه والنحو ، ونزل عين ماضي ، وأخذ ذكر التجانية، ودخل الجلفة ، والسحاري ، ومسعد ، وبوسعادة ، حين كانت الحملة الفرنسية تتزل بالجزائر ، وواصل الطريق ، فمر بتماسين ، حيث الزاوية التجانية ، ومرّ بوادي سوف ، ومنه دخل إلى جريد تونس ، ثم طرابلس وبرقة ، ثم نزل بمصر وقرأ بالأزهر ، وأخذ الإجازات العلمية ، وأذكار الطرق الصوفية .

وقبل ذهابه إلى مكة ، كان الشيخ السنوسي قد أخذ مجموعة من الطـــرق الصوفيـــة في المغرب الأقصى والجزائر ، منها : القادرية ، والشاذلية ، والتجانية .

---

[1] - عادل نويهض ، المرجع السابق ، ص 168 ... 170 .

- علواش ، المرجع السابق ، ص 288- 289 .

وأسس الشيخ السنوسي زاوية على مشارف مكة ، وأخذ ينشر طريقته الجديدة ، والتي ترجع إلى الخضرية – القادرية ، وكان قوي الشخصية ، غزيــر العلــم ، مستقــلا في رأيــه ، مبتعدا عن الحكام والسياسة [1].

وفي عام 1843 ، غادر الشيخ السنوسي مكة إلى ليبيا ، حيث بنى عدة زوايا ، وازدهرت طريقته بسرعة ، وأول زاوية بناها : كانت البيضاء بالجبل الأخضر ، ثم تكاثرت الزوايا ، منها في ناحية برقة ، وبنغازي ، وبعضها في تونس والجزائر ، سيما نواحي توات والصحراء عموما ، ثم انتقل الشيخ السنوسي إلى جغبوب ، في الجنوب الليبي ، عام 1855 ، وأسس بها زاوية جديدة ، لكي يضمن حرية الحركة والاتصال ، بعيدا عن أنظار السلطة العثمانية في الساحل .

وكتب الشيخ السنوسي الرسائل إلى أهل الطرق الصوفية ، والمؤيين له ، يطلب منهم دعم حركة الشريف محمد بن عبد الله ، الذي ثار في الصحراء الشرقية للجزائر ، وشملت المنطقة التي حارب

---

[1]- سعد الله ، المرجع السابق ، ص 247 ... 251

– هلال ، المرجع السابق ، ص 127 ... 129 .

فيها الاحتلال الفرنسي ، بلاد الطوارق ، وورقلة ، وبني ميزاب ، والأغواط ، وتوات ، ووادي ريغ ، ووادي سوف ، والزيبان .

كما أن الشخصية التي كانت وراء دعم الشريف محمد ، هو الحاج أحمد التواتي ، وهو العضد الأيمن للشيخ السنوسي ، والمقدم له على المنطقة الغربية . فقد كان الحاج التواتي يدعو إلى الجهاد ، ويجند الاتباع ، ويأمر بشراء الأسلحة والذخيرة ، وهو الذي أوعز بتنظيم الحملة التي انتهت باعتقال الشريف محمد ،عام 1861 [1].

وقد واجه الفرنسيون أتباع السنوسية خلال أعوام 1879 و1880 ،و1881 ، ووجدوا شخصيات منهم في ثورات أولاد سيدي الشيخ ، وهم الذين اغتالوا بعثة المستكشف الفرنسي "فلاترس Flatters" عام 1881 ، في الجنوب الصحراوي للجزائر .

ولكن الاحتلال الإيطالي لليبيا، والحرب العالمية الأولى ، جعلا السنوسية تقاوم بطريقة أخرى في الجزائر وغيرها، ومن ذلك أحداث الطوارق عام 1916 ، ومقتل " شارل دي فوكو de foucauld " الجاسوس القديس الفرنسي ، والثورة التي وقعت في تلك المنطقة الصحراوية، وكذا مقاومة التسرب الفرنسي في فزان [2].

---

1 - بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 150 ... 159 .

2 - سعد الله ، المرجع السابق ، ص 252 ... 255 ، 262 ، 273 .

ي- التجانية :

ترجع التجانية إلى مؤسسها الأول ، وهو أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار ابن سالم التجاني .

ولد أبو العباس أحمد التجاني عام 1150 هـ / 1737 م ، بالجزائر ، في قرية عين ماضي[1] ، وهي تبعد عن مدينة الأغواط بحوالي 60 كلم ؛ وتعلم فيها المبادئ ، وحفظ القرآن .

وفي سن العشرين ، سافر أبو العباس أحمد التجاني إلى مدينة فاس المغربية، لأخذ العلم[2] ، وظل متنقلا يأخذ الأوراد والأذكار الصوفية ، فأخذ الطريقة القادرية عن مقدمها في فاس: الشيخ محمد بن حسن ، والطريقة الناصرية عن الشيخ محمد بن عبد الله

[1] - مرجوليوث ، " تجانية " ، دائرة المعارف الإسلامية ، المرجع السابق ، المجلد 04 ، القاهرة 1933 ، ص 593

[2] - عباس بن ابراهيم المراكشي ، الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام ، ج 05 ، ص 198

التزاني بالريف المغربي ، وأخذ عن الشيخ الطيب الوزاني طريقته الطيبية [1] .

وبعد ذلك عاد أبو العباس أحمد التجاني إلى الجزائر ، ومكث في الأبيض سيدي الشيخ مدة خمس سنوات ، ثم رجع إلى مسقط رأسه عين ماضي ؛ ولما لـم يجـد فيـها بغيتـه من العلمـاء والصـالحيـن ، انتقـل إلـى تلمسـان ، وأقـام بهـا مـدة خـمـس سنـوات (من 1181 هـ / 1767 م إلى 1186 هـ / 1772 م) ، ثم سافر إلى المشرق لأداء فريضة الحج ؛ وفي طريقه مر بزواوة ، فدرس على الشيخ عبد الرحمن الأزهري ، وأخذ عنه الذكر والطريقة الرحمانية .

توقف أبو العباس أحمد التجاني أثناء رحلته بتونس ، والتقى فيها ببعض العلماء ، وأخذ في مصر عن الشيخ محمود الكردي الطريقة الخلوتية والمستحبات العشر ، كما أخـذ في المدينة المنورة الطريقة الشاذلية ، ووظيفة الشيخ زروق ، ودلائل الخيرات عن الشيخ القطب سيدي محمد بن عبد الكريم السمان [2] .

---

[1] – محمد بن جعفر الكتاني ، سلوة الأنفاس ، فاس 1326 هـ ، ج 01 ، ص 181

[2] – أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ، ص 517- 519 .

عاد أبو العباس أحمد التجاني بعد سنتين إلى تلمسان ، ثم ذهب إلى توات ، وانعزل في بوسمغون ، وهناك قيل أنه جاءه الفتح الكبير، وهو في الخامسة والأربعين من عمره فادعى الولاية والكرامة، وأخذ ينشر طريقته التي جمع فيها خلاصة الطرق الصوفية السابقة ، ولكن بايات وهران أقلقهم نشاطه ولاحقوه ، فانتقل بأسرته وتلاميذه إلى مدينة فاس سنة 1211 هـ / 1795 م ، وعاش فيها إلى أن توفي سنة 1230 هـ / 1814 م [1] .

ولنشر طريقته ، أسس أبو العباس أحمد التجاني زاويته الأولى بفاس المغربية سنة 1215 هـ / 1799 م ، وقام بتأسيس زوايا في أماكن أخرى ، وعين لها مقدمين ينشرون طريقته ، وتميزت التجانية بتعاليمها البسيطة ، ومذهبها الواضح الذي كان قريبا من التفكير العامي السائد آنذاك [2] ؛ وكانت لها أهمية اجتماعية وسياسية ، خصوصا في عهد الاستعمار الفرنسي الذي حاول أن يستغل نشاط الطرق الصوفية وتأثيرها الروحي لتحقيق أغراضه .

---

[1] – سعد الله ، نفسه ، ص 518 .

– علي علواش ، " التجاني " ، معجم مشاهير المغاربة ، جامعة الجزائر 1995 ، ص 109- 110

[2] - عمار هلال ، المرجع السابق ، ص 122 .

وقد ظهرت التجانية في السودان الغربي بواسطة محمد الحفيظ بن مختار بن الحبيب ، الملقب ببادي ، والذي كان قد زار أحمد التجاني في فاس ، وأخذ عنه تعاليم التجانية ومبادئها [1] . ولم يقتصر دور التجانية هناك على الجانب الديني والاجتماعي ، بل شمل الميدان السياسي أيضا ، إذ ساهمت التجانية في ظهور عدد من الدويلات ، مثل دولة الشيخو أحمدو ، ودولة الحاج عمر (1798 – 1865 م) ، الذي أسس رباطا في فوتاجالون ، وأصبح مقدما للتجانية ، والتف حوله الأنصار ، وأعلن الجهاد ضد الوثنية ، وحارب الاحتلال الفرنسي بدون هوادة ، إلى أن هلك وقمعت حركته [2] .

ترك أبو العباس أحمد التجاني ، عند وفاته ، ولدين هما : محمد الكبير ، ومحمد الصغير (الحبيب) ، وخلفه على رأس الطريقة الحاج علي الينبوعي في تماسين ، وهي على بعد 14 كلم من تقرت بوادي ريغ .

ولد الحاج علي في تماسين عام 1180 هـ / 1766 م ، ونشأ على التصوف ، وزار الشيخ أحمد التجاني في

---

[1] - محمد عبد القادر ، الفكر الصوفي في السودان ، القاهرة 1968 ، ص 199

[2] - هلال ، المرجع السابق ، ص 124 .

عين ماضي ثم في فاس ، وأخذ الوصية منه لكي يكون هو حامل البركة بعده في الجزائر ، وراعي ابنيه ، حيث جاء بهما مـــن فـــاس إلى عين ماضي بعد وفاة والدهما [1] .

وبنى الحاج علي الينبوعي زاوية تماسين منذ عام 1214 هـــ / 1798 م في ضاحية تعرف بتملاحت ، وكان يحبذ الفلاحة فشجعها ، مما أدى إلى عمارة تماسين بالنخيل والأشجار المثمرة ؛ وبعد بلوغه ثمانين سنة توفي عام 1260 هـــ / 1844 م [2] .

وفي هذه الحقبة انتشرت الطريقة التجانية في التل والصحراء والسودان الغربي ، وذلك عن طريق القوافل التجارية التي كانت تنتقل بين الشمال والجنوب ، والشـــرق والغـــرب ، لا سيما فاس وتلمسان وتوات والهقار وفوتا والسينيغال وتمبكتو ، وكانت الزاوية التجانية هي المحرك لهذه الشبكة من القوافل التي تحمل الذهب والتبر ومختلف البضائع المتبادلة في ذلك العهد ، فكثر الأتباع والمقدمون والزوايا التجانية ، وتدفقت الخيرات من زيارات وإمدادات ونفوذ

---

[1] – الحفناوي ، المرجع السابق ، ج1 ، الجزائر 1906 ، ص 282- 286 .

[2] –سعد الله ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 219 .

على عين ماضي وتماسين ، وتحولتا إلى مركزين ثريين بالمال وعمـــارة الأســـواق ، إلى جانب دورهما الديني والاجتماعي [1] .

وقد وقعت عدة أحداث وهجومات بين النظام العثماني والتجانية في عين ماضـــي ، مما أدى إلى مقتل محمد الكبير بن الشيخ أحمد التجاني وهو يهاجم مدينة معسكر ، فأخذ أخوه محمـــد الصغيـــر قيـــادة الطـــريـــقـــة التجـــانية في عين ماضي، وكان أميـــل إلى الهدوء من أخيه ، ولكن بركة الطريقة الحقيقية كانت في يد الحاج علي الينبوعي بتماسين ، وقد فضل التصوف والسكون على الجهاد والحركة ، ورفض انضمام التجانية للمقاومة ضد الاحتلال الفرنسي [2] .

عند وفاة الحاج علي الينبوعي التماسيني عام 1260 هـــ / 1844 م ، ورث عنه البركة التجانية محمد الصغير بن الشيخ أحمد التجاني مؤسس الطريقة ، فأصبح هو شيخها ، وقد ولد عام 1217 هـــ / 1801 م في المغرب الأقصى ، وحفظ القرآن ، وأخذ

---

[1] – هلال ، المرجع السابق ، ص 126 .

[2] -— Rinn , op . cit , P . 427 . . .
- Trumelet (C) : « Notes pour servir a l'histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864 » Revue Africaine , Vol . 21 , annéé 1877 , pp . 336 – 338 .

مجموعـــة من العلوم والمعارف هناك [1] ، وإلى جانب ثقافته الدينية والصوفية ، فقد كونته أحداث الجزائر بعد مـــا جيء به من فاس بعد وفاة والده عام 1230 هـــ / 1814 م ؛ ومن هذه الأحداث تعرضه لحصار الأمير عبد القادر في عين ماضي عام 1254 هـــ / 1838 م بغرض فرض الطاعة على التجانية ، وقطع الصلة بينها وبين الفرنسيين [2] . وفي عهد الشيخ محمد الصغير دخل الفرنسيون الصحـــراء الشمـــالـــيـــة الجـــزائـــريـــة ، واحتلوا الأغـــواط وعين مـــاضي عام 1260 هـــ / 1844 م ، وكانت التجانية تلتزم الحياد ، وهادنت الاستعمار الفرنسي في الجزائر ، وأبدى نحوه مقدموها وشيوختها طواعيـــة كبيـــرة [3] .

---

[1] - سعد الله ، المرجع السابق ، ج4 ، ص 205 .

[2] - محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر ، ج 1 ، بيروت 1964 ، ص 196 .

- دائرة المعارف الاسلامية ، المرجع السابق ، م 4 ، ص 594- 595 .

Yver (G.) : « Abd – EL – Kader et le MAROC en 1838 » Revue africaine , N° 60 , année 1919 , pp 92 – 98

[3] - Marey (général) : Expédition de Laghouat , Alger 1844 , pp. 9 – 13 .

- Maugin (E.) : « Notes sur l'histoire de Laghouat » , Revue africaine , N° 38 , année 1894 , pp. 86 – 96 .

توفي الشيخ محمد الصغير بن أحمد التجاني عام 1853 م ، تاركا ابنا صغيـــر الســـن لا يمكن تكليفه بشؤون الزاوية ، ثم توفي بدوره عام 1857 [1] ، لذلك خلفه في حمل البركة وقيادة التجانية الشيخ محمد العيد بن الحاج علي الينبوعي في تماسين .

أما زاوية عين ماضي ، فتولى تسيير شؤونها ، والإشراف على النواحي الروحية فيها المشري الريان الذي كان محل ثقة الشيخ محمد الصغير بن أحمد التجاني ، وأصبح المشري الريـــان وكيـــل الشيخ في مختلف المســـائـــل ، وأعاد بناء الزاوية ، وتولى القضاء في عين ماضي ، وكلفه الفرنسيون بإدارة البلدة [2] .

ولكي تبقى الوراثة في آل الشيخ التجاني ، وبالتالي تستمر زاوية عين ماضي في نفوذها وسمعتها ، فقد نسب المشري الريان والسلطات الفرنسية إلى الشيخ محمد الصغير المتوفي ولدين أخرين من وصيفة كانت له ، وهما : أحمد والبشير[3] .

ولما كانت ثورة أولاد سيدي الشيخ على أشدها ، وهم جـــيران عيـــن ماضـــي ، وقد اشترك فيها الإخوان التجانيون دون الرجوع إلى طريقتهم ، قام الفرنسيون بتعيين أحمد بن محمد

---

[1] - Trumelet , op . cit. , pp. 342 – 343 .

[2] – سعد الله ، المرجع السابق ، ج 4 ؛ ص 207 .

[3] - Trumelet , op . cit. , pp. 393 – 404

الصغير التجاني قائدا على عين ماضي ومقدما للتجانية عام 1865 ، وذلك حتى يتم فصل التجانيين عن الثورة .

ولكن في سنة 1869 ، قامت السلطات الفرنسية باعتقال الأخوين أحمد والبشير ابني محمد الصغير التجاني (المنسوبين إليه) ، وذلك بعدما التجأ البعض من أولادي سيدي الشيخ إلى عين ماضي[1] .

وبعد ذلك سافر أحمد بن محمد الصغير التجاني عام 1870 إلى فرنسا وتزوج هنـــاك في مدينة بوردو " بأوريلي بيكار " ابنة الضابط المتقاعد ، ثم طلق زوجاته الأخريات بعد رجوعه إلى الجزائر عام 1872 .

• وقد لعبت " أوريلي بيكار" دورها في حياة الزاوية التجانية ، وبني لها قصر كوردان ، على بعد عشر كيلومترات من عين ماضي، وأصبح قصرا للحياة الفرنسية في الصحراء ، حتى لقبت صاحبته بملكة الرمال [2] .

توفي أحمد بن محمد الصغير التجاني عام 1897 ، وجرى تأبينه رسميا في الجامع الجديد بمدينة الجزائر ، تحـــت رعايـــة الـــسلطات

---

1 - سعد الله ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 211- 212 .

2 - نفسه ، ص 213- 214 .

الفرنسية ، وبحضور الحاكم العام " جول كامبون " نفسه ، وحضر الحفل المفتون والقضاة ورؤساء الطرق الصوفية وأعيان المسلمين ، وخطب في هذه المناسبة المفتي الحنفي أحمد بوقندورة ، والمفتي المالكي محمد بن زاكور ، وممثل الطرق الصوفية محمد بن بلقاسم الهاملي ، وغيرهم »[1].

عند وفاة الشيخ أحمد بن محمد الصغير التجاني عام 1897 ، كانت البركة ما تزال في زاوية تماسين ، وكانت فرنسا غير مرتاحة لحاملها الشيخ محمد بن محمد العيد التماسيني ، لذلك رأت أنه من مصالحها في الصحراء وافريقيا عن طريق التجانية ، أن يتزوج البشير التجاني من أرملة أخيه " أوريلي بيكار"، بإشارة من الحاكم العام " جول كامبون " ؛ ثم أعادت البركة إلى زاوية عين ماضي . واعترف الأتباع في الأغواط والمناطق المجاورة بالشيخ البشير زعيما روحيا للطريقة ، وشيخا لزاوية عين ماضي ، وحاملا للبركة التجانية ، إلى وفاته عام 1912 في قمار ، عندما كان يتفقد زوايا التجانية بقسنطينة والصحراء الشرقية ، ثم خلفه ابنه محمد الكبير[2] .

---

[1] - سعد الله ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 210 ، 215 ، 217 .

[2] - Cauvet (commandant) : « Notes sur le souf et les souafat » , Bulletin de la société de géographie d'Alger , Vol 35 , N° 137 , année 1934 (01er tri .) p . 252

قبل الشيخ البشير التجاني ، كانت البركة التجانية في عائلة الحاج علي الينبوعي بتماسين لمدة طويلة ؛ وذلك لما توفي الشيخ محمد الصغير بن أحمد التجاني بعين ماضي ، عام 1853 ، ولم يترك ولدا كبيرا يخلفه ، آلت قيادة الزاوية والبركة التجانية إلى الشيخ محمد العيد بن الحاج علي الينبوعي بتماسين من 1853 إلى 1875 [1] .

كان الشيخ محمد العيد عالما وورعا ، وقد وصف " دوفيرييه " زاوية تماسين في عهده بأنها كانت أعظم زوايا الجزائر ، وقال : " إنك حين تدخلها تحس بعظمة المؤسسة وحكومتها القوية ، فيها مسجد للصلاة ، وعدد من المنازل للأتباع والخدم ، وقصر ضخم لإقامة الشيخ يحتوي على مرايا جيء بها من البندقية ، كما تحتوي على الأرائك المزينة على الطراز الأوروبي ، وكل ذلك من الضخامة بحيث لا تظن نفسك في مدينة صحراوية " [2] .

وعلى إثر وفاة الشيخ محمد العيد ، خلفه أخوه محمد الصغير بن الحاج علي الينبوعي ، من 1875 إلى 1892 ، وكان مقدما على زاوية قمار بوادي سوف ، وكان في الخامسة

1- سعد الله ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 218- 222 .

2- Deveyrier (H.) , Exploration du Sahara , Paris 1905 . p.309 .

والستين من عمره حين تولى مشيخة الطريقة التجانية في زاوية تماسين ، وترك إبنه محمد العروسي في وظيفة مقدم زاوية قمار [1] .

تعلم الشيخ محمد العروسي القرآن على محمد الطالب الشنقيطي ، والفقه على قاضي قمار الأخضر بن أحمد ، والتصوف على والده ، وكان عالما ، ورعا ، نشيطا ، وله ولع بالعلوم والمعارف ، وله طموح وتطلع إلى لعب دور قيادي ، فجعل من زاوية قمار مدرسة لتدريس العلوم ، ومحط أنظار لرجال زاويتي تماسين وعين ماضي ، وكذلك السلطة الفرنسية لتأثيره في النواحي الجنوبية ، فقد كانت له علاقات مع الأتباع البعيدين سواء في الصحـــراء أو في السودان حتى وفاته عام 1920 ، وقد صادف ذلك اهتمام السلطات الفرنسية بمنطقة الهقار ، والتعرض لتقدم السنوسية [2] .

وبعد وفاة الشيخ محمد الصغير ، خلفه أخوه معمر بن الحاج علي الينبوعي في مشيخة الطريقة التجانية بتماسين من 1892 إلى 1893 ، ثم محمد بن محمد العيد بن الحـــاج علي من 1893 إلى

[1] – سعد الله ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 226 ، 231 -232 .

[2] - Foureau (F.) , d'Alger au Congo par le Tchad , Paris 1902 .

1897 ، حيث رجعت بركة الطريقة التجانية إلى زاوية عين ماضي[1].

واستمرت الوراثة في زاوية تماسين ، بعد وفاة الشيخ محمد بن محمد العيد بن الحاج علي عام 1912 ، في ابنه البشير إلى وفاته عام 1917 ، ثم ابنه محمد العيد حتـــى وفاتـــه عام 1927 ، ثم خلفه عمه أحمد بن محمد الذي امتد عهده إلى سنة 1978 ، ولكن البركة التجانية ظلت في زاوية عين ماضي[2] .

أمـــا بخصوص الإحصـــاء ، فقد كـــان للـــزاويـــة التجـــانـــيـــة (25.323) تـــابعا ، و (32) زاوية ، و (165) مقدما ، و (09) وكلاء.، بالإضافة إلى النساء الخونيات ، فيما بين عامي (1897) و (1906)[3] . ويتمركز معظم التجانيون وأتباعهم في الناحية الجنوبية الشرقية من القطر الجزائري .

ويعتبر المرجع الرئيسي للتجانية كتاب " الكناش " ، وعنوانه الكامل هو " جوهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض الشيخ التجاني "

---

[1] - Depon, op . cit t, p. 428

[2] - سعد الله ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 208-236 .

[3] - Garrot (H.)'; « le mouvement islamique » , Bulletin de la société de géographie d'Alger et de l'Afrique du nord , 1906 , p. 159 .
- Depont et Coppolani , op . cit. , p . 438 .

طبعته المطبعة الأزهرية عام 1936 قد أملاه مؤسس الطريقة الشيخ أحمد التجاني على بعض تلاميذه ، منهم الحاج علي حرازم، ومحمد بن المشري السائح، وضمنه تاريخ حياته ، وعقيدته الصوفية ، ووصاياه إلى أتباعه ، ويحمل الكتاب تاريخ ذي القعدة 1214 (مارس / أفريل 1800) [1] .

ومن أشهر كتب التجانية :

- " كشف الحجاب عمن تلاقى مع التجاني من الأصحاب"، صنفه أبو العباس أحمد بن أحمد العياش سكيرج ، طبعة فاس 1325 هـ / 1906 م .

-" بغية المستفيد " ، المطبوع بمطبعة التقدم عام 1326 هـ / 1907 م .

- " الإفادة الأحمدية " ، للطيب السفياني المطبوع بمطبعة الصدق الخيرية ، عام 1931 .

- ومن الكتب التي تناولت التجانية وأحصت مصادرها ، كتاب : " مؤرخو الشرفاء " ، لليفي بروفنسال [2] .

---

[1] - سعد الله ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 242- 237 .

[2] - Levi Provençal (E.) : lès histoires de chorfa , Paris 1922 , p. 377

ك- الدرقاوية

ظهرت الدرقاوية في المغرب الأقصى ، ويعـــود أصـــلها إلى الشاذلية ، وهـــي تنســـب إلى الشيخ محمد العربي الـــدرقاوي ، المتوفي سنة 1823 في زاوية بوبريح ، بشمال فاس . وقد خلفه محمد البوزيدي ، ثم توالى الخلفاء إلى عبد الرحمن بن الطيب الذي كـــان متوليا الزاويـــة عام 1884 .

وتعتبر هذه الزاوية هي الأم لفروع الدرقاويـــة الأخـــرى ، كالمدنية التي أسسها الشيخ محمد بن حمزة المـــدني عـــام 1820 في مصراته بليبيـــا ، والهبرية التي تنسب إلى الحاج محمـــد الهـــبري ، المتوفي عام 1901 في بني سناسن بالغرب الجزائـــري ؛ والعليويـــة المنتسبة إلى الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة ، المتوفي عام 1934 بزاويته في مستغانم .

وتلي الزاوية الدرقاوية ، زاوية تافيلالت التي أسسها أشراف مدغرة ، وقد كانت ملجأ للثائرين أمثال الشيخ بوعمامة وأتباعه ؛ ثم زاوية مدغرة التي أسسها أحمد البدوي ، وأعاد تنظيمها الـــشيخ أحمد الهاشم بن العربي ، المتوفي عام 1892 ، وقد كـــان معارضـــا

للنفوذ الفرنسي في المنطقة ، فأعلن الجهاد ضد الفرنسيين في تافيلالت عام 1888 [1] .

تذكر لأتباع الدرقاوية مواقف مختلفة ، منها أنهم كانوا لا يخالطون إلا الصالحين ، ويتفادون أصحاب السلطة ، ويصدقون في أقوالهم ، ويكثرون الصدقات ؛ وقبلوا الوظائف الدينية كالإمامة والقضاء ، ورفضوا الوظائف الإدارية الأخرى [2] .

كان أتباع الدرقاوية ضد الفرنسيين ، فظهر منهم المنادون بالجهاد ، مثل مقدم الدرقاوية عبد الرحمن الطوطي الذي أعلن الجهاد عام 1845 في نواحي بلعباس .

والحاج موسى الدرقاوي (المدعو بوحمار) الذي دخل من المغرب إلى الجزائر بعد احتلالها ، واتصل بالحاج سيدي السعدي ، وعيسى البركاني في متيجة ، ونسقوا معا حركة الجهاد ، عام 1833 .

وحارب الحاج موسى الفرنسيين مع الأمير عبد القادر ؛ ثم نزل في أولاد نائل بمسعد ، وحارب بهم الفرنسيين ؛ ثم دخل الأغواط وأنشأ فيها زاوية لطريقته " الدرقاوية

[1] – Depont, op . cit. , p. 508 .

[2] – سعد الله ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 113 .

المدنيـــة " ؛ وعين خليفتين لـــه ، أحدهما محمد بلحاج على الجنوب ، والآخر قويدر بن محمد على الشمال ؛ ولكن الفرنسيين اعتقلوا خليفته قويدر ، وطاردوه في الوسط والجنوب على يد الجنرال " اللقيط يوسف جوزيف فنتيني " .

فانسحب الحاج موسى إلى بني يعلى بزواوة ؛ ثم تحول إلى متليلي عند الشعابنـــة ، عام 1848 ؛ وأثنـــاء ثـــورة الزعـــاطشة عام 1849 ، كـــان إلى جـــانـــب زعيمهـــا الشيخ بوزيان ، واستشهد معه [1] . وقد ترك الحاج موسى ولدين ، أحدهما بقي على رأس زاوية درقاوة في الأغواط ، وهو أبو بكر .

وهناك من شيوخ درقاوة من رفض الارتماء في السياسة والحياة الدنيا ، كالعربي بن عطية في الونشريس ، ومحمد بن ابراهيم بنواحي بلعباس .

ومن الشخصيات الدرقاوية البارزة في الدين والعلم ، وذات وزن كبير : عدة بن الموسوم بن غـــلام الله البوعبدلي ، الذي ولد عام 1202 هـــ / 1787 م في الشلف ، وبعد أن حفظ القرآن ،

---

[1] - يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر ، المرجع السابق ، ج 1، ص 55- 60 .
- ابراهيم مياسي ، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر ، الجزائر 1999 ، ص 126 .
- Maugin ; op . cit. , p . 97 .

درس اللغة والحديث والتوحيد والفلك على شيخ الطيبية محمد بن عبد الرحمن ، ثم انتقل إلى مازونة فأخذ بها الفقه على الشيخ أبي طالب المازوني ، كما أخذ عدة طرق صوفية ، آخرها الشاذلية الدرقاوية ، على يد شيخه العربي بن عطية .

وفي عهد الأمير عبد القادر ، تولى عدة بن غلام الله وظيفة القضاء على بلاد الظهرة وميـنـة ، بأمر من الأمير ، ثم تفرغ للعبادة والتعليم والإرشاد ، إلى أن توفي عام 1283 هـ / 1866 م ، تاركا عدة مؤلفات وقصائد . وتعرف زاويته الدرقاوية بزاوية أولاد الأكراد ، وكان على رأسها محمد غلام في آخر القرن التاسع عشر ، ثم خلفه عمه أحمد ولد عدة عام 1902 م ، وكان لها حوالي 3.500 من الأتباع .

وكان للشيخ عدة بن غلام الله تلاميذ ، استقلوا بزواياهم ، منهم : محمد الموسوم بقصر البخاري ، وابن عبد الله بن عبد القادر بمعسكر ، ومحمد الشرقي بالعطاف [1] .

في سنة 1882 ، كان عدد إخوان الشاذلية الدرقاوية في الجزائر ، بما فيها الفروع ، 14.574 إخوانيا ، و 268

[1] - سعد الله ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 115- 117 .

مقدما ، و 32 زاوية ؛ وهم موزعون بين غرب البلاد وشرقها ووسطها [1] .

ل – العليوية

تفرعت العليوية عن الشاذلية الدرقاوية ، وهي تنسب إلى الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة المستغانمي ، المتوفي عام 1934 .

بعدما أخذ الشيخ ابن عليوة المبادئ العلمية ، والتصوف عن الشيخ محمد البوزيدي ، وتصدر زاويته الدرقاوية من بعده ، في مستغانم ، استقل وأسس بها زاوية خاصة به عام 1910 ، كما أسس زوايا أخرى في معسكر وغليزان ووهران والجزائر وزواوة [2] .

بخلاف الجمعيات الصوفية الأخرى ، استعمل الشيخ بن عليوة وسائل حديثة لنشر أفكاره وتعاليمه ، فقد اشترى مطبعة للزاوية [3] . وأنشأ صحفا كانت تنشر نشاطه ، وتدافع عن الزوايا ضد مخالفيها ومنتقديها ، منها الصحيفة الأسبوعية " لسان الدين "، وأهمها الصحيفة الأسبوعية " البلاغ الجزائري " ، التي اهتمت

[1] - Rinn : op . cit. , p . 264 .

[2] – سعد الله ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 127 .

[3] – محمد الهاشمي بن بكار ، كتاب مجموع النسب ، الجزائر 1961 ، ص 169

بشؤون الجزائر السياسية والوطنية ، وأيدت الجامعة الإسلامية واليقظة الوطنية .

وقد دافع الشيخ ابن عليوة عن اللغة العربية ، ووقف ضد الاندماج والتجنيس بالجنسية الفرنسية ، وضد التقاليد والعادات الأوروبية ، وضد الحركات المعادية للأديان كالشيوعية .

ولجـأ الشيخ ابن عليوة إلى الرسـائل أيضا ، لنشر آرائه ، وهي تتضمن قضايا التصوف [1] ، والعبادات ، وقصائد الشعر ، ونسب إليه منها كتاب " مفتاح الشهـود في مظاهر الوجود " ، وكتاب " المنح القدوسية " .

وعرف على الشيخ ابن عليوة أنه ساند في البداية الحركة الإصلاحية ، وتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ثم انضم إلى حركة منفصلة عنها ، وهي جمعية علماء السنـة عام 1932 ، والتي ماتت في نفس فترة وفاة الشيخ ، عام 1934 .

وبفضل هذه الوسائل وغيرها ، انتشرت العليوية انتشارا سريعا وواسعا ، وشاع أمرها في بلدان المغرب العربي وحتى في السينغال ومدغشقر وآسيا ، وغيرها .

---

[1] - Berque(A) , « Un Mystique moderniste : de Cheikh Benalioua . » revue africaine ,vol . 79 / 2 ,année 1936 , pp. 691 – 776

وبعد وفاة الشيخ ابن عليوة ، لم يكن له وريث ولا وصي ، فخلفه على الزاوية ووارثا للبركة صهره " عدة بن تونس " وهو أحد أتباعه وسائق سيارته ، وبقي شيخا للعليوية إلى وفاته عام 1952 [1] .

م – البكائية

ينتمي البكائيون إلى الكنتي ، عمر بن أحمد البكاي ، الذي ولد عام 910 هـ / 1504 م (ق 10 هـ / 16 م) ، وقد نشر عمر بن أحمد البكاي ورد القادرية حيث أخذه عن الداعية الإسلامي الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي انتشرت على يده القادرية في الصحراء والسودان .

أما أحمد البكائي الحفيد فقد ولد عام 1803 ، ودرس على جده الشيخ المختار الكنتي صاحب التآليف ، ومنذ حوالي 1847 أصبح أحمد البكاي هو زعيم الطريقة القادرية في الصحراء ، وأصبح له نفوذ روحي وزمني كبيرين ، امتد إلى سكوطو وبحيرة تشاد ، وقصده المستنجدون والرحالة الأجانب ، وهو الذي فاوض الاستعمار على أن تكون تمبكتو هي المدينة التي يديرها أهل سنغاي، واحتج على احتلال الفرنسيين لورقلة ، وكاد أن يعد حملة ضدهم،

---

[1] - سعد الله ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 128- 133 .

وحـــذرهم مـــن التوسع في الصحـــراء والجنوب . كما تزعم الشيخ عابديـــن الطـــوارق ، ودعاهـــم للجهـــاد ضـــد الأجانـــب ، آخـــر القرن التاسع عشـــر ، وكان بكائيا [1] .

وإذا كان المقر الرئيسي للبكائية في تمبكتو ، فإنها منتشرة في الجهات الغربية والجنوبية من الجزائر ، سيما في مناطق توات والقرارة وبلاد الطوارق [2] ، وقد عمر البكائيون زاوية كنته ، ولهم فيها أملاك كثيرة ، وفي أقبلي وسالي وأولف ، وغيرها [3] .

وكان أتباع البكائية يساعدون القوافل ، ويصلحون بين الناس ، ويوفرون الأمن للسابلة والغرباء ، وقد لعبوا دورا كبيرا في أحداث افريقية بين السكان والمحتلين الفرنسيين والطامعين من الإنكليز والألمان .

ن – الطكوكية

تعتبر زاوية طكوك بنواحي مستغانم ، هي الزاوية الرئيسيـــة الوحيـــدة للسنوسيـــة في الجـــزائـــر ، أسسهـــا سنة 1859 ،

---

1 – نفسه ، ص 278 – 279 .

2 – محمد حوتية ، " مخطوطات إقليم تـــوات " مجلـــة معهـــد للبحـــوث والدراسات الافريقية ، ديسمبر 2001 ، جامعة القاهرة ، ص 124 .

3 – Deveyrier , op . cit. p . 321 .

الشيخ طكوك الشـــارف ولــد الجيلاني عبد الله بن طكوك ، المولود حوالي سنة 1794 بمجاهر ، قرب مستغـــانم ، أين درس على عدة مشائخ في الناحية ، منهم شيوخ محمد بن علي السنوسي نفسه ، كالشيخ محمد بلقندوز .

إعتقل الفرنسيون الشيخ طكوك في مركز عمي موسى ، بسبب نشاطـــه وتأثيـــره على العامة ، ودام اعتقاله سنوات ، وبعد إطلاق سراحه ، رجع إلى مجاهر وأنشأ زاويتـــه في أولاد شفاعة ، وذلك حوالي عام 1859 .

ثم اعتقل الشيخ طكوك في مستغانم ، أثناء ثورة ابن الأزرق ، وثورة أولاد سيدي الشيخ ، عام 1864 [1] .

وفي سنة 1877 ، اتهـــم الفرنسيـــون الشيخ طكـــوك باخفاء السلاح ، فصـــادروا ما في زاويته ، وساقوه إلى سجن مستغانم ، كما اعتقلوه من جديد عام 1879 بنفس السجن أيضا . وحسب " آجرون " أن الشيخ كان بإمكانه أن يثوِّر عشرين ألفا من الناس ، ولكنه مع ذلك دعاهم إلى الهدوء [2] .

[1] - سعد الله ، المرجع السابق ، ج 4 ، ص 266- 272 .

[2] - Ageron ch . R. , les Algériens musulmans et la France 1871 – 1919 , Paris 1968 , T.1 , pp. 309 – 516 .

وفي سنة 1890 توفي الشيخ طكوك ، عن عمر 96 سنة ، ودفن في زاويته ، وترك خلافته الروحية لأخيه أحمد طكوك ، و لم تسلم الزاوية من الغلق مرة أخرى ، وزج بشيخها الجديد في السجن .

وسجنت فرنسا أيضا أحمد بن الشيخ طكوك مؤسس الزاوية، بعد رجوعه إلى الجزائر عام 1893 ، وذلك بعد غربة دامت خمس سنوات في زاوية جغبوب بليبيا ، وتزوج أثناءها من أسرة الشيخ المهدي السنوسي . وقد حل أحمد الإبن محل عمه على رأس الزاوية عند اعتقاله ، وأثناءها كان الكتاب الفرنسيون يحذرون من خطر السنوسية داعية الجامعة الإسلامية ، وبقي هذا الشيخ عدة شهور في النفي والسجن بكورسيكا ، قبل عام 1900 .

وقد طال عهد أحمد بن طكوك مثل والده ، فتوفي عن 80 سنة من العمر ، وفي زمنه اشتهرت الزاوية الطكوكية بالعلم وتحفيظ القرآن ، كما لاحظ ابن بكار[1] . وجاء ذلك في إحصاء عام 1897 ، حيث ذكر أن للسنوسية 950 إخوانيا ، وعشرين مقدما ، وشيخا واحدا ، وزاوية واحدة [2] .

---

1 - ابن بكار ، المرجع السابق ، ص 167 .

2 Depont, op . cit. p . 567 -

ص – الطيبية

تأسست الطيبية في وزان بالمغرب الأقصى ، على يد الشيخ عبد الله الشريف المتوفي عام 1089 هـ / 1678 م ، ومن بعده تولى الزاوية ابنه محمد بن عبد الله الشريف ، وتوسعت في عهده ، وأصبح لها فروع ومقدمون في المغرب والجزائر ، وجاء بعده ابنه الثاني ، ثم أخوه الطيب الذي ظل على الزاوية من 1127 هـ / 1716 م إلى 1181 هـ / 1768 م ، وفي عهده ازدهرت الزاوية كثيرا ، وأصبحت تعرف بالطيبية [1] ؛ إلى أن تصل السلسلة بين الأبناء والأحفاد ، إلى الحاج العربي ، ثم ابنه عبد السلام ، ثم العربي بن عبد السلام الذي كان موجودا إلى سنة 1906 على رأس الزاوية ، وهو الشيخ الثاني والأربعون في سلسلة البركة الصوفية .

لقد كانت الطيبية تستمد أصولها من الشاذلية ، وهي تدعو إلى التقوى ، مع التقرب إلى الله ، والقيام بالواجبات الدينية ، والابتعاد عن الحياة الدنيا وزخرفها ، وتقوم بفعل الخير ، وإطعام الفقراء ، والتدخل لحل الخلافات بين الناس ، وإصلاح ذات البين .

---

[1] - سعد الله ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 522- 523 .

ومع ذلك ، فإن واقع الطيبية جعلها عبارة عن جمعية دينية ذات وزن سياسي .

فهذا محمد بن عبد الله المعروف بـ " بومعزة " كان من إخوان الطيبية ، وقد حارب الفرنسيين في موازاة الأمير عبد القادر في عدة معارك ، واشتهر بأحداث الظهرة عام 1845 ، إلى أن استسلم إلى السلطات الفرنسية عام 1847 ، وحمله الفرنسيون إلى سجن " بو " بفرنسا [1] .

غير أنه منذ عام 1891 ، حين كانت فرنسا تقوم بالاستيلاء على الصحراء وأراضي الجنوب ، كانت في حاجة إلى دعم مشائخ الصوفية . وبالإضافة إلى ذلك ، فإن الشيخ عبد السلام شريف وزان ، قد سبق له أن تزوج من معلمة انكليزية ، ودخل تحت نظام الحماية الفرنسية ، الذي فرضته الدول الغربية على سلطان المغرب ، الحسن الأول (1873 – 1894) ، بحيث يمكن لرعاياه أن يكونوا رعايا دولة أجنبية باختيارهم ، وفي هذا الإطار ، جاء إلى الجزائر شريف وزان الشيخ عبد السلام بن العربي ، في زيارة رسمية ، واستقبله الحاكم العام " جول كامبون " ، وحصل في هذه الزيارة على موافقة أهل القرارة على

---

[1] – بوعزيز ، ثورات الجزائر ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 79- 85 .

الدخـــول تحت الحمـــاية الفرنسية . وبعد ذلك ، ظلت الصلة قائمة بين الفرنسيين ورجال الطيبية[1] .

وتنتشر الطيبية في غرب الجزائر وجنوبها الغربي ، وفي وسطها وشرقها .

وفـــي سنـــة 1897 قـــد كـــان للطيبية 22.148 من الإخوان ، و08 زوايا ، و234 مقدما ، وليس لها شيوخ في الجزائر[2] .

4- موقف الاحتلال الفرنسي من الصوفية

كانت كل جمعية صوفية متماسكة فيما بينها ، كثيرة المـــال والأتباع ، قوية السمعة ، لها شيخ شهير يعترف به جميع الأتباع ، ومن ثمة كان لها وزنها وخطرها ، بحيث تخيف الاحتلال الفرنسي .

لذلك اعتبرها الفرنسيون عدوهم اللـــدود ، فتـــصدوا لهـــا بتشتيت صفوفها ، وتمزيق وحدتها ، واستعمال القوة معها ، وشراء الذمم ، وتزويج بعض رجالها من فرنسيات ، والتحالف معهم[3] .

---

[1] سعد الله ، المرجع السابق ، ج4 ، ص 94- 102 .

[2] - Rinn : op . cit. , p . 384 .
- Depont , op . cit. , p . 489 .

[3] - Tailliart ch. ; l'Algérie dans la littérature française , Paris 1925 , p . 400 .

وبهذه الإجراءات تضعضعت وحدة الصوفية ، وتفرعت إلى فروع ضعيفة ومتنافسة ، لا تعترف ببعضها ، ولا بتبعية الشيخ الواحد . ولم يأت آخر القرن التاسع عشر حتى تمزقت الرحمانية إلى 25 فرعا ، والدرقاوية إلى ثمانية فروع ، والقادرية إلى ستة فروع [1].

كما قررت فرنسا مراقبة الزوايا عن كثب ، والتحكم في مداخلها المادية ، ومنع إعطاء الرخص لجمع أموال الزيارات ، ومنع الشيوخ من زيارة أتباعهم بدون ترخيص .

وحمّلت فرنسا الصوفية مسؤولية ثورات عديدة ضد الاحتلال في الجزائر ، منها ثورة بوعمامة ، ومقتل بعثة فلاترس ، في الصحراء [2].

ودفعت فرنسا الشيوخ إلى أن يعلنوا ولاءهم لها ، وقد اتبع الحاكم العام " جول كامبون " أسلوبا جديدا نحو الطرق الصوفية ، وهو استمالة رؤسائها ، فاستمال زعيم أولاد سيدي الشيخ ، وتفاوض مع بوعمامة ، وعرض عليهم الوظائف ، ولا سيما الدرقاوية والرحمانية ، وسلم الأوسمة إلى بعض الرؤساء. وكان " كامبون " يسعى إلى تدجينها واستعمالها في خدمة المصالح الفرنسية،

---

[1] - Depont, op . cit. , p . 247

[2] - سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ، ج4 ، ص 30- 32/ 326- 329 .

لا سيما في الصحراء [1] . وسار على سياسته الحاكمان العامان " شارل جونار " (1903 – 1912) ، و " شارل ليطو " (1912 – 1918) .

كما استخدمت الإدارة الفرنسية نفوذ الطرق الصوفية خلال الحرب العالمية الأولى والثانية ؛ فساهمت في تهدئة السكان الجزائريين، ودعتهم إلى الوقوف بجانب فرنسا ضد ألمانيا وحليفتها تركيا .

واستمرت السلطة الفرنسية في محاولة توظيفها لمعارضة التيارات السياسية والإصلاحية التي برزت في الجزائر منذ 1920 ، كحركة الأمير خالد ، ونجم الشمال الإفريقي ، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931 [2] .

---

[1] - Ageron , op . cit. , T.1 , pp. 306 – 315 / 514 – 515 .

[2] – أبو قاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، الجزائر 1983 ، ج2 ، ص 371- 436 .

الفصل الثالث

العزابة بوادي ميزاب

* نظام العزابة

* الدور الديني والاجتماعي والتربوي للعزابة

* العزابة ومقاومة الاحتلال الفرنسي

1- التعريف بنظام العزابة في وادي ميزاب

بعد سقوط الدولة الرستمية ذات المذهب الخارجي الإباضي على يد الفاطفيين أصحاب المذهب الشيعي الباطني الإسماعيلي ، عام 296 هـ / 909 م ، هاجر بقية الرعايا الرستميين إلى مدينة وارجلان ونواحيها في الجنوب الجزائري ، وحتى لا تتمزق جماعتهم ويندثر مذهبهم الإباضي ، ابتدع أصحاب الرأي فيهم نظام العزابة الذي يخلف الإمامة ، ويحفظ مجتمعهم ، ويتلائم مع أوضاعهم . وكان الذي وضع أسس هذا النظام هو " أبو عبد الله محمد بن بكر النفوسي ، احد علماء الإباضية ، سنة 409هـ /1018 م "[1] .

لقد بدأ نظام العزابة لغايات تعليمية توجيهية ، الهدف منه تكوين التلاميذ، ولكنه تطور مع تطور الظروف والعوامل المحلية والخارجية، فتوسعت رعاية الفرد في المجتمع الإباضي في جميع مناحي حياته الدينية، والاجتماعية، والثقافية، والسياسية، والاقتصادية ، وقد تجلى هذا التطور على أكمل صورة بعد تكون مدن ميزاب السبع ، وهي العطف ، بنورة ، بني يزقن ، غرداية ، مليكة ، بريان ، و القرارة واقتضى التنظيم الاجتماعي لهذه المدن التي تكون مجتمعا واحدا ، أن تكون هناك هيأة تشرف على تسيير

---

1 - محمد ناصر ، حلقة العزابة ، الجزائر ، 1989 ، ص 05 .

هذا المجتمع بطريقة تكفل له الاستمرارية في ظل دينه الإسلامي ، ومذهبه الإباضي ، وعاداته ونظمه . " وتبلور نظام العزابة بصفة أخص بعد بداية الحركة الإصلاحية في العصر الحديث " [1] .

وهكذا تكون لكل مدينة في وادي ميزاب مجلسها الديني، ويسمى أعضاء المجلس " العزابة" [2] والعزيب هو الرجل الذي يبتعد عن أهله وماله، وينقطع لعمله الذي تفرّغ له ، وقد اختير هذا الاسم لأعضاء المجلس الديني ، لأنهم يعطون أنفسهم لله ولخدمة المجتمع ، والقيام بوظائفهم الدينية في المسجد ، وإرشاد الناس وتوجيههم .

ودفعا للحاجة المادية ، فإن الذي ينضم إلى المجلس الديني يتطلب فيه أن يكون صاحب عمل أوحرفة حرة ، فأعضاء العزابة كلهم يكسبون قوتهم من كد يمينهم ، ففيهم الفلاح ، والتاجر ، والعامل ، والمعلم ، واعتمادهم على أنفسهم في كسب القوت يضفي على مهنتهم الدينية صفة النزاهة والتعفف ، كما أن أشتغالهم بهذه الأعمال يجعلهم أدخل في الحياة الاجتماعية ، وأكثر احتكاكا

---

[1] - نفسه ، ص 10 .

[2] – دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها الباركة ، ج 1 ، دمشق 1965، ص 193 .

بفئات المجتمع في حياته اليومية ، وهذا ما يساعدهم على معرفة واقع الناس وإدراك مشاكلهم ، وتحليل قضاياهم ، والحكم على آرائهم ومواقفهم [1] .

إن مجلس العزابة يهدف إلى تنظيم حياة وادي ميزاب تنظيما إسلاميا قائما على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولذلك لا يدخل في عضويته إلا من توفرت فيه الشروط التالية [2]:

أ-حسن السيرة مع حفظ القرآن الكريم كله .

ب- التراهة في معاملاته اليومية ، وان يكون متزوجا .

ج- الكفاءَة العلمية، والقدرة المالية حتى لا يكون عالة على المجتمع .

يقول الأستاذ ابراهيم محمد طلاي ، وهو أحد أعضاء مجلس العزابة :

"ونظام العزابة، نظام اجتماعي مبني على مراعاة الدين والمحافظة عليه، والقيام بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإرشاد الجهلة والاغرار، ولهذا النظام يرجع الفضل في بقاء رونق

---

1 - محمد ناصر ، المرجع السابق ، ص 15 .

2 - بكير بن سعيد أعوشت ، محمد بن يوسف اطفيش ، غرداية 1989 ، ص 52 .

الإسلام وطهارته في ميزاب فترة من الزمن طويلة ، وفي محافظة غالب السكان على تعاليم الإسلام وأتباع منهجه "[1] .

إن مجلس العزابة هو الهيأة العليا في المدينة ، لها النفوذ الروحي على المجتمع الإباضي والسلطة المطلقة في كل ماله علاقة بالدين[2] .

لذلك يختار أعضاء المجلس الديني من خيار المدينة، فكل مدينة تختار مجلسها من بين الذين اتصفوا بالعلم، والورع، والإخلاص، وحسن التدبير، وحفظ القرآن ، وعمارة المساجد.

ولا ينخرط في سلك العزابة إلا من ترتضيه صفوة المدينة وخاصتها ، وللمجلس الديني الكلمة النهائية في قبول العضو ، أو رفضه[3].

ويقوم العزابة بوظائفهم الدينية ، وواجباتهم ، وأعبائهم في المجتمع لله ، لا لغيـــره ، ولا يأخذون أجرا ماديا على عملهم ، ولا يجوز لهم ذلك .

---

[1] – ابراهيم محمد طلاي ، ميزاب بلد كفاح ، قسنطينة ، 1970 ، ص 39.

[2] – أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، الجزائر 1984 ، ص 110 .

[3] – دبوز ، المرجع السابق ، ص 194 .

ويتركب مجلس العزابة من اثني عشر عضوا [1] ، يكونون المجلس الديني ، غالبا ، ولا يتجاوزونه إلا إذا اقتضت العملية ذلك ، مثل التوسع العمراني والسكاني ، وتنوع مصالح الناس ، مما يتطلب التفرغ لكل هذه المهام . ولإحداث عديدة بنواحي المدينة ، يتوزع العزابة للإشراف عليها وتسييرها ، ولكنهم يتصرفون جميعهم وفق مجلس واحد يضمهم جميعا ، ولهم جلسة أسبوعية معينة ، يلتقون فيها للتدارس والتشاور ، واتخاذ القرارات والتوصيات .

ولكل عضو من الأعضاء الاثنى عشر الذين يكونون مجلس العزابة ، له مهمة خاصة[2]. فرئيس المجلس هو الشيخ أو المفتي ، وهو الذي يتولى الوعظ في المسجد والتدريس ، كما أنه يرجع إليه في الفتوى ، ثم هناك الإمام ، والمؤذن ، ووكيل أو وكيلان يشرفان على أوقاف المسجد، ويصرفالها في مواضعها ، ثم ثلاثة معلمون لتعليم الصغار ، والسهر على الأمن ، والمحافظة على النظام في المسجد أوغيره ، ويضاف إلى هؤلاء خمسة أعضاء مساعدون ، تسند إليهم مهمات اجتماعية ، كتجهيز الموتى .

---

1 - محمد ناصر ، المرجع السابق ، ص 12 .

2 - طلاي ، المرجع السابق ، ص 41 .

ولكي يؤدي المجلس الديني دوره داخل شرائح المجتمع كان لابد من إيجاد نظام يساعد عمليا على أداء هذا الدور . لذلك يوجد خارج المسجد مجلس الجماعة الذي يترأسه العزابة ، وهو يتكون من شيوخ العشائر في البلد ، وهم يمثلون الهيأة التنفيذية ، ويكونون في الغالب من أهل الرأي والتدبير والحكمة ، غير متفرغين لطلب العلم والقيام بشؤون الدين مثل العزابة .

كما يساعد الجماعة هذه على أداء مهامها المتعددة في البلد ، مجلس " المكاريس "[1] الذي يتكون من العوام ممن يتصفون بالشجاعة والقوة واليقظة . وتكون مهمة هؤلاء الرئيسية المحافظة على أمن البلد والحراسة على ممتلكات الناس وحرمتهم .

ولكل هيئة من هذه الهيآت المذكورة شروط معلومة ومواصفات دقيقة ، ولوائح داخلية خاصة بها[2] .

ومن أهم المجالس المساعدة ما يعرف بمجلس " تمسردين"[3] أو الغاسلات. فكما اقتضى النظام الاجتماعي وضع مجالس خاصة

---

[1] – محمد ناصر ، المرجع السابق ، ص 43 .

[2] – نفسه ، ص 43 .

[3] - نفسه ، ص 44 .

بالرجال، فكذلك يوجد مجلس خـــاص بالنساء، يتولى شؤون المرأة.

وأطلق على مجلس النساء اسم الغاسلات ، لأنهن يقمن بغسل الأموات من النساء والأطفال، فغلبت عليهن هذه الصفة ، ومنهن يتكون المجلس الديني للنساء، ويكون عددهن في الغالب اثنتى عشرة إمرأة .أما العضوات فتختارها هيأة العزابة من مختلف عشائر البلدة ، من صالحات الأسر ، ويشترط فيهن التقوى ، والعفة ، والحياء ، وحسن السلـــوك ، والورع ، وحسن التدبير ، والحنكة في معالجة الشؤون العائليـــة ، وتطبيـــق أوامـــر العزابة في المجتمع النسوي .

2- الدور الديني للعزابة

إن جمعية العزابة إنما أنشئت لتكون الإمامة الصغرى التي تنظم حياة المجتمع الإباضي ، بعد سقوط دولته الرستمية لذلك كان من مهام العزابة وصلاحياتهم التشريع والتنفيذ .

فجمعية العزابة تمثل سلطة الإمام الحاكم وتقوم مقامه في مهامه وواجباته باستثناء إقامة الحدود التي يعطلها الأباضية ، حتى لا يخالفوا السلطات الإدارية الحاكمة ويدخلوا في صراع معها .

.وتعتبر المهمة الأساسية لجمعية العزابة هي الوظيفة الدينية في المسجد، مثل المفتي ، والإمام ، والمؤذن ، وناظر الأوقاف ، ومؤدب الصبيان ، وغسلة الأموات.

لقد تسند الرئاسة للأعلم ، والأفقه ، والأقدم ، والأكبر سنا في الجمعية . أما الإمام فيراعى فيه التقوى، والصلاح، والحزم ، والتقوى في الدين ، والصوت الجهوري ، والسلامة من العيوب الخلقية [1] .

وتعد وظيفة الآذان من أهم الوظائف في المسجد، لأنها تتطلب من القائم بها دقة، وانضباطا ، وحضورا مستمرا ، ونشاطا، وسلامة جسدية .

وتعتبر مهمة الوعظ والإرشاد من أهم مهام الجمعية ، وهي التي تناط لرئيس المجلس ، وتولى بعناية ومتابعة وحضور .

ولما كان المسجد هو الموجه والمربي والواعظ والمعلم للمجتمع، فكانت الجمعية تحرص على وظيفة الوعظ والإرشاد ، وكان المجلس الديني ينتقي لها أكفأ أعضاء الحلقة تجربة ، وأغزرهم علما ومعرفة ، وأفصحهم لسانا [2] .

---

[1] – دبوز ، المرجع السابق ، ص 197 .

[2] – محمد ناصر ، المرجع السابق ، ص 17 ... 19 .

لقد استطاع بعض الشيوخ أن يتركوا الأثر البليغ في النهضة الإصلاحية الحديثة بوادي ميزاب ، أمثال الشيخ أطفيش والشيخ بيوض.

فبعد الحرب العالمية الأولى على حد قول محمد ناصر " حول الشيخ بيوض بنظره الثاقب ومواهبه الفذة المسجد في القرارة إلى مركز إشعاع علمي بأتم معنى الكلمة ، وأصبح المسجد ، في عهده، جامعة مفتوحة يؤمها كل الناس .

إن هذا الانقلاب العظيم الذي تزعمه الشيخ بيوض يعود إلى نهجه التربوي الرشيد الذي يتبعه في دروس تفسير القرآن الكريم ... وقد انطلق هذا الإشعاع من مسجد القرارة ليعم سائر مدن ميزاب "[1] .

إن الشيخ بيوض كان رئيسا لجمعية العزابة مدة نصف قرن تقريبا ، وكان يتمتع بالفصاحة والبيان ، وحدة الذكاء ، وسعة المعرفة ، وقد استطاع الشيـــخ بيوض أن يزرع في الناس هيبة جليلة للمسجد ، وتأييدا لنظمه ، واستعدادا للإستجابة إلى كل ما يمليه المسجد أو يدعو إليه .

---

[1] - نفسه ، ص 20 .

هذا وقد يوفد المجلس الديني أعضاء من حلقته يقومون بدورات الوعـــظ والإرشاد في المدن خارج وادي ميزاب ، حيث يوجد الإباضيون تجارا وموظفين.

إن المفتي أو شيخ المسجد ، والإمام ، والمؤذن هم رؤساء العزابة وعمدتهم ، يواظبون على اعمالهم ، لا يتخلف أحدهم [1] .

ويعتقد العزابة أنهم كلهم مسؤولون عن هداية العامة ، وإرشادها ، ونصحها ، وتعليمها أمور دينها ، وتثقيف عقولها .

إن العزابة هم محل احترام أهل المدينة وإجلالهم ، وإكبارهم لدينهم ، وعلمهم، وخدمتهم للمدينة ، وقيامهم بالدين . فالعزابة يختلطون بالعامة في كل أحوالها ، ويجتمعون بها دائما في المسجد في الصلوات الخمس ، وفي دروس المسجد ، وفي أفراحـــها وأحزانها ، أو أي مناسبات، ونشاطات أخرى .

ويقوم العزابة بتلاوة القرآن في المسجد، ومعهم قدماء التلاميذ الذين استظهـــروا القرآن . وتكون التلاوة جماعية بدون مصحف، فيما بين صلاتي المغرب والعشاء، وقبل صلاة الفجر، وما بين صلاتي الظهر والعصر .

---

[1] – عوض محمد خليفات ، النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في شمال إفريقيا ، عمان ، 1982 ، ص 43 .

وقد تبلغ الحلقة التي ترتل القرآن خمسين قارئا أو أكثر ، يبدأون القرآن من سورة البقرة إلى سورة الناس ، ويقرأون في كل وقت جزءا من القرآن ، ويعتبر مجلس التلاوة ، هذا ، وسيلة لحفظ القرآن ، ووسيلة للتذكر لمن نسي .

وفي شهر رمضان لا ينقطع القرآن من المسجد ، ففي آخر شعبان يقسم العزابة وقدماء التلاميذ أنفسهم فرقا ، تتولى كل فرقة تلاوة القرآن في وقت معلوم .

وأيضا في شهر رمضان ، توزع الصدقات على الفقراء في المسجد قبل المغرب وفي وقت السحور ، فيقصد الفقراء المعدومون مساجد ميزاب لنيل التمر والخبز ما يكفي فطورهم ، وفي وقت السحور ينالون الخبز والكسكس ما يشبعهم، إن هذه الصدقات أوقاف علقها المحسنون في أملاكهم للمسجد .

ومن غير شهر رمضان فللفقراء وتلاميذ الكتاتيب وقف دائم في المسجد ، من التمر يوزع عليهم يوميا كغذاء يزودون به.

إن العزابة هم الذين يقومون بأوقاف المسجد ويشرفون على توزيعها ، فللمسجد وكيل من العزابة يتولى أموره المادية كلها [1] .

---

[1] - دبوز ، المرجع السابق ، ص 220 ، 221 .

3- الدور الاجتماعي للعزابة

يعتبر العزابة هم العمود الفقري لجميع التظاهرات الاجتماعية، يشاركون فيها بحضورهم اليومي ويشرفون عليها .

ولا يقتصر دور العزابة على المشاركة المظهرية في المناسبات ، إشرافا وتسييرا ، بـل هم يؤدون دورا أساسيا في وضع نظامها المحكم ، حتى لا ينحرف المجتمع وراء مظاهر الإسراف والانحلال ، ولا ينساق تحت تأثير الغلو ، وحتى لا يفقد المجتمع أهم مقوم لـه وهو التوازن بين أفراده ، والتماسك والتضامن بين جماعاته تحت تأثير التصرفات الفردية وطغيـان الأنانية .

لذا يحرص العزابة كل الحرص على متابعة ومراقبة ما يجري في المناسبات الاجتماعية ، فيحددون المهر أو الصداق ، ونفقات الزفاف والولائم ، وكيفيات الحفلات، حتى لا تظهر المادية، والمنافسة المظهرية بين العائلات بطريقة تؤثر على المستـوى المـادي للفقيـر الذي لا يستطيع مسايرة الأغنياء والأثرياء .

ولحماية أخلاق الشباب من التدهور ، وضعت جماعة العزابة، بمساعدة جماعـة المدينة ، لوائح تنظيمية تساعد بها من يرغب في الزواج من الفقراء ، فكان الحض على التكافل الاجتماعي الذي يكون بين الطبقات ، وذلك حتى ينضم إلى الغني القـادر عـدد من الفقراء الذين يرغبون في الزواج .

فأصبحت الأعراس الجماعية ظاهرة اجتماعية ، فمع كل أسرة غنية مجموعة أسر أخرى تنضوي تحت جناحها ، ويقوم الغني بجميع المصاريف الضرورية .

وبهذا التنظيم استطاع المجتمع أن يتغلب على ظاهرة العزوبة والعنـــوسة ، ويقضي على الانحلال الخلقي [1] .

وكما يشرف العزابة على أعراس الزواج ، فهم يقومون بتنظيم ورعاية جميع الأفراح كالميلاد ، والعقيقة ، وختان الصبيان ،والأعياد إلى غير ذلك .

ولا تقتصر حفلات الأعراس التي يرأسها العزابة على الوليمة وعلى الأناشيد المطربة فقط، بل تتوج بدرس بليغ يفيد الناس ، يلقيه أحد العزابة ، أو أحد العلماء الذين هم عون للعزابة .

ويشتمل الدرس على حكمة الزواج ، وواجبات الزوجين ، والعشرة الحسنة ، والحياة البيتية، والتنديد بالهفوات والكسل والإسراف، وسوء العشرة . كما يحتوي الدرس أيضا على تربية الأطفال وتعليمهم .

وكذلك ، في الولائم والأعياد التي يرأسها العزابة ، فيخطبون العامة والخاصة بما يفيدهم .

---

[1] – محمد ناصر ، المرجع السابق ، ص 25 ، 26 .

ومن أعمال العزابة تجهيز الموتى ، فيشرفون على غسلهم ، وتكفينهم ، والصلاة عليهم ، وتشييع جنازتهم ، ودفنهم ، ومواساة ذويهم ، وتنفيذ وصاياهم ، وتقسيم تركتهم بين مستحقيها ، ويقوم العزابة على شؤون الأيتام والأرامل ، وضمان كفالتهم .

وتكون هذه المناسبة فرصة للعزابة للتأكيد على المحافظة على الوحدة والتضامن والتعاون بين أفراد المجتمع .

ولا تنتهي الجنازة في المقبرة دون أن يقرأ الإمام خطبة كلها مواعظ ، وهي مجموعـــة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تذكر بالموت والحساب والعقاب ، وتدعو الناس لاغتنام دنياهم لبناء آخرتهم ، ثم يختم خطبته بالدعاء للمسلمين والحاضرين ، وبعد ذلك ينصرف الناس متأثرين بالوعظ والإرشاد ، وأكثرهم استعدادا لعمل الخير والصلاح [1].

ويقوم العزابة على جمع الزكاة من الأغنياء وتوزيعها على مستحقيها بطريقة تكفل لهم الحياة الاجتماعية المتوازنة.

وقد يتدخل أحد العزابة في البحث عن عمل شريف لمحتاج أو يتيم أو عاطل ، كما يسعى لحفظ كرامة ذوي العاهات والأرامل والمرضى والمحتاجين إلى مساعدة إخوانهم الموسرين .

---

[1] – دبوز ، المرجع السابق ، ص 203 ... 205 .

كما تتدخل جماعة العزابة في مراقبة البيع والشراء في الأســـواق ، ومحاربة الانحراف في التعامل التجاري ، مثل الغش والتطفيف والاستغلال والاحتكار ، وكل المظاهر التي نهت الشريعة الإسلامية عنها [1] .

ومن أعمال العزابة أيضا فض المشاكل ، وإنهاء الخصومات ، والصلح بين المتنازعين ، وإن أغلب الخصومات يذهب بها أصحابها إلى العزابة الذين يفضونها في وقـــت قصيـــر ، وإن المتخاصمين يثقون بالعزابة كل الثقة ، لأنهم يحكمون ، بدين الله ، ويتصفون بالورع والعلم الذي يترههم من المحاباة والعصبية والتهاون والعجز في القضاء ، فيسلم المتخاصمان بحكمهم ، ويخرجان من المسجد متصالحين .

إن العاصي في وادي ميزاب إذا ارتكب كبيرة ، كالسرقـــة ، واغتصـــاب الحقوق، أو ترك الصلاة ، أوشرب الخمر ، أو نحو ذلك مما حرمه الله ، تناديه عشيرتـــه فتنهـــاه ، فإن تاب فذلك ، وإلا رفع أمره للعزابة ، وبعد الصلاة الجامعة يقف الشيخ ليعلن البراءة من المذنب ، فتقاطعه المدينة كلها لا تكلمه ، ولا تتعامل معه ، ولا تزوجـــه ، وإذا كان تاجرا لا تشتري منه ، وإذا كان أجيرا .

---

1 – محمد ناصر ، المرجع السابق ، ص 28 ، 33 .

لا تستخدمه، ولا يدعونه إلى مجالسهم ، وإذا دعاهم لا يجيبون، ولا يسلمون عليه ، ولا يردون على سلامه ، ولا يعينونه إذا حلت به كارثة ، ولا يقبلون صدقته ولا يغسله العزابة إذا مات، ولا يمشي الناس في جنازته ، ولا تقبل توبته إلا في المسجد وعند اكتضاضه لحضور صلاة الجماعة .

إن التطبيق الصارم لمبدأ البرأة هو الذي حفظ وحدة الأباضية وتماسكهم[1].

4- الدور التربوي والتعليمي

يقوم العزابة بمهمة تربية النشئ ، حيث تبنى الكتاتيب إلى جانب المساجد، ويدير كل منها أحد العزابة .

ويتعلم النشئ في هذه الكتاتيب القراءة، والكتابة ورسم القرآن وحفظه، وشيء من السيرة النبوية، وما تيسر من الأحاديث، وما يتصل بفقه الصلاة هذا بالإضافة إلى التربية الخلقية.

وإذا حفظ التلميذ القرآن واستظهره ، ينتقل إلى دار التلاميذ ، وهي تابعة للمسجد ، ويشرف عليها العزابة أيضا .

---

[1] - دبوز ، المرجع السابق ، ص 209 ... 211 .

- دي موتلنسكي ، " الإباضيون " دائرو المعارف الاسلامية ، المجلد الأول، ص 14 .

وتدرس في دار التلاميذ العلوم الشرعية من فقه وأصوله، والتوحيد والتفسير، والحديث، والميراث ، والعلوم العربية من نحو، وصرف وبلاغة وعروض، وبعض العلوم العقلية كالمنطق والحساب[1] .

وتعتبر الدروس في دار التلاميذ ابتدائية وثانوية ، يقوم بها مدرسون متطوعون بدون أجرة [2] ، ويشترط في تلاميذ الدار حفظ القرآن حفظا جيدا واستظهاره كله ، وحسن السيرة، والمواظبة على حظور صلاة الجماعة في المسجد ، وإلا طرد التلميذ من الدار من قبل مديرها. .

وذكر " الدكتور محمد ناصر" : "أن النهضة الإصلاحية ولاسيما بعد الحرب العالمية الأولى أبدلت بالكتاتيب العتيقة المدارس الحرة المنظمة تنظيما عصريا مبنى ومعنى ، ومناهج .

وأصبحت هذه المدارس تابعة للجمعيات الخيرية المنبثة في كل مدن الوادي تحت إشراف العزابة توجيها وتسييرا في الأغلب الأعم. بل إن المعاهد الثانوية في وادي ميزاب ترتبط بالمسجد ارتباطا وثيقا

---

[1] – دبوز ، المرجع السابق ، ص 213 .

[2] – عوض محمد خليفات ، المرجع السابق ، ص 62 .

لتظل هذه الصلة الروحية والمادية قائمة بين المدرسة والمسجد،ولينشأ التلميذ في حضن بيت الله تربية وتعليما" [1]

ويضيف قائلا : " وقد أسست هذه الجمعيات الخيريـــة تحـــت رعايـــة المسجـــد كـ ل مؤسساتها التربوية الأخرى مدارس ابتدائية وثانوية ، مكتبات وداخليات وجمعيات ثقافية ونوادي وضمنت للتلاميذ والطلاب الاستفادة منها مجانا دون أي مقابل مادي لأن ذلك يتكفل به المتبرعون المحسنون " [2] .

وقال الأستاذ محمد علي دبوز : " كانت هذه المدارس الخيرية الحرة الميزابية في عهد الاستعمار تعوض للتلاميذ في طرفي النهار مالا يجدونه في المدارس الاستعمارية من العربية والدين وحفظ القرآن . تأخذ ساعتين في الصباح وساعتين في المساء قبل دخول التلاميـــذ في المدارس الحكومية وبعد خروجهم، وتلاميذها كلهـــم يذهبـــون إلى المـــدارس الحكومية " [3]

أما في دزوس المسجد، فيعينّ العزابة أعلمهم وأفصحهم لوعظ العامة وإرشادهم وتعليمهم أمور دينهم ، ويعتني العزابة بهذه

---

[1] – محمد ناصر ، المرجع السابق ، ص 32 .

[2] – نفسه ، ص 32 .

[3] – دبوز ، المرجع السابق ، ص 200 .

الوظيفة كل الاعتناء ، فلا يرضون أن يتوقف درس المسجد وينقطع الوعظ والإرشلد منه .

ويحضر دروس المسجد العزابة وتلاميذ دار العلم والعامة، وتتعرض هذه الدروس لأمراض المجتمع ومساوئ الأخلاق، فتشرّحها ، وتبين أضرارها للفرد والجماعة ، وتحذر منها ، وتصف العلاج لدائها .

ويَدرس في المسجد فقه العبادات ، والأحاديث النبوية لا سيما ما يتصل بالأخلاق وفضل العبادات . كما يدرس تفسير القرآن، وسيرة الرسول (ص) والخلفاء الراشدين، وتتخلل جميع دروس المسجد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فهي عماد المدرس لتأييد معانيه ومقاصده ، وكذلك يشد بها انتباه الحاضرين واهتمامهم .

وكتب الأستاذ دبوز في هذا المجال قائلا : " وقد تطورت دروس المسجد في بعض البلدان الميزابية كالقرارة وبريان ، والعطف في عهد النهضة الحديثــة ، فصـــارت نـــارا على الفساد والإلحاد الذي يبثه الاستعمار وأذنابه في المجتمع الجزائري والميزابي ، وترى المسجد غاصا في وقت الدروس ،والناس يسارعون من اماكن بعيدة لحضورها سيما دروس العلامة الشيخ بيوض في مسجد القرارة ، فإن الناس يسافرون في المواسم، والأعياد من بلدانهم ليحضروا

درس الشيخ الممتاز في الموسم ، إنه يتناول الأمراض الاجتماعية ، ويعرض المجتمع على الكتاب والسنة ، فيبين خلله ، وأسباب الضعـــف التـــي ابتلـــي بها المسلمـــون" [1] .

5- دور العزابة في مقاومة الاحتلال الفرنسي

تحمل العزابة مسؤلية الدفاع عن المجتمع الميزابي ضد جميع أشكال التدخلات الأجنبية، والاحتلال الفرنسي لمنطقة وادي ميزاب ، وذلك بصفتهـــم قـــادة هذا المجتمع في حالات الأمن والاستقرار ، أو حالات الفتن والحرب والاضطراب .

وقد تكون المقاومة امتدت بشكل أو بآخر ، إلى بعض المناطق من الصحراء ، حيث جاء في رسالة بعث بها " الجنرال مارغريت" إلى القائد الأعلى بالجزائر ، يذكر فيها الأسباب التي دعته إلى احتلال ميزاب في نوفمبر من سنة 1882 ، يقول فيها : " لقد قررت الزحف على غرداية لأن جميع المقاومة التي تعرضنا لمهاجمتها في الصحراء تستمـــد سلاحـــها من ميـــزاب ، ولقد رأيت هؤلاء يمسكوننا باليد اليمنى ويمدون الثوار باليد اليسرى، ولعل الأشد عداء لنا هم الطلبة الذين يسمون العزابة ، وقد كان

[1] - دبوز ، المرجع السابق ، ص 201 .

أول عمل قمت به هو سجن شيخهم " أطفيش" الذي أعلن الجهاد ضدنا "[1] .

وبعد الاحتلال الفرنسي لميزاب سنة 1882 ، كتب " لفتسكي " الباحث البولوني: " استمر شيوخ العزابة في التمتع الدائم بالسلطة الروحية الكبيرة على المدن الميزابية ، ورغم فقدان السلطة السياسية ، إلا أن سهر العزابة على تطبيق تعاليم المذهب الأباضي ، باستعمال البراءة في الحالات الخطيرة ، جعل سلطة مجلس العزابة لا تزال دائما جد كبيرة ، وتملك الوصاية على جميع المواطنين الأباضيين بميزاب ، ويبقى مجلس العزابة هو الهيئة الدينية والروحية العليا للميزابيين "[2] .

لقد ظلت المقاومة في وادي ميزاب رافضة للاحتلال الفرنسي وأشكاله وأساليبه ووسائله طيلة عهده ، ومن الوسائل التي اتخذتها المقاومة في مواجهة الاحتلال ، التشبث بالقيم الأصيلة دينا ولغة ، وقد لعبت المساجد دورا كبيرا في نشر اللغة العربية لكونها لغة القرآن ولكونها أيضا البديل الطبيعي الذي سيقف في وجه ثقافة

---

[1] – علي يحي معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، الحلقة الرابعة ، غرداية ، 1986 , ص 596 .

[2] – لفتسكي تادوز ، " الحلقة " دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الثالث (اقتباس من الفرنسية) ، ص 97 ... 101

المحتل وأساليبه ووسائلـــه ، مما أعطى للصراع بين العزابة والمحتل طبيعة سياسية في شكل ديني أوثقافي .

ولعل من أشكال المقاومة التي قام بها العزابة ، وقوفهم ضد التجنيد العسكري الإجباري ، حين عزمت سلطات الاحتلال تطبيقه على سكان وادي ميزاب ، ودام هذا الصراع طويلا من سنة 1912 إلى غاية سنة 1943 ، وفضل الميزابيون أداء الضرائب الباهضة مقابل الحفاظ على دين أبنائهم وأخلاقهم [1] .

وفي هذا المجال ، وبمدينة القرارة ، لما حاول العسكريون الفرنسيون تجنيد الشبان إبان الحرب العالمية الأولى بوسائل قمعية ، دعا مجلس عزابتها جميع السكان إلى تحدي هذه الإجراءات ورفضها بقوة ، وقد أدى هذا التحدي إلى نفي وسجن بعض أعضاء المجلس، وتسليط عليهم أشد العذاب ، ومعاملتهم معاملة القهر والإذلال .

وهذا الإمام الشيخ بيوض ، وهو من العزابة ، قام بإعلان الحرب والمقاومة ضد فساد القياد وأتباعهم ، وقد بلغ الصراع ذروته في الثلاثينات ، حين فرضت عليه السلطات العسكرية الإقامة الجبرية بالقرارة ، إبان الحرب العالمية الثانية ، وذلك لتجعل حدا

---

[1] – محمد ناصر ، المرجع السابق ، ص 38 – 39 .

لنشاطه الإصلاحي الواسع الذي تجاوز حدود القرارة ليشمل وادي ميزاب كله [1] .

ولم يقف الصراع بين العزابة وممثلي الاحتلال الفرنسي عند دعوة الناس إلى مقاومة الظلم والفساد بالوعظ والإرشاد في المسجد ، بل كثيرا ما قام العزابة بمواجهة القائد الممثل لسلطات الاحتلال ، فأعلنوا البراءة منه في المسجد أمام الملأ، وفضحوا أعماله ، وكشفوا ألاعيبه ، وتحدوه بالمقاطعة والتمرد وعدم الامتثال لأوامره .

وقد كان الاحتلال الفرنسي يعرف منزلة العزابة ودروس المسجد في التأثير على الميزابيين، فتحاشى أن يصيبهم بسوء مباشرة ، لذلك خشيهم وسلط عليهم أذنابه .

كما اعتنى العزابة بحفلات الأعراس ، حيث تقوم على أناشيد وطنية ودينية بلغة عربية فصيحة ، تدعو إلى العلم ، وتحث على الجد ، وتأمر بالأخوة والاتحاد والتآزر ، وتغرس المثل العليا في النفوس ، ومقت الاحتلال ، وشروره ، وحب الحرية والتحرر من الأغلال ..

واعتنى العزابة كل الاعتناء بحفظ القرآن وتعليم اللغة العربية ، إذ يقول "الأستاذ دبوز " : " إنه لا

---

[1]- نفسه ، ص 41- 42 .

يوجد في ميزاب اليوم أمي في الرجال لا يقرأ العربية ويكتبها . ولا تجد فيها من يحتقر العربية ، ولا يعتد بها ، ويغار عليها ، وذلك بفضل الكتاتيب ، ودار التلاميذ ، والمدارس العربية العصرية التي أنشأها ميزاب، وبفضل هذا النظام الديني الذي هزم الاستعمار فلم يستطع أن يغرس في الجنوب احتقار العربيـــة والديـــن الذي غرسه في كثير من خريجيه في الشمال" [1] .

وأضاف قائلا ، في نفس النسق :" لقد أجهد الاستعمار نفسه قرنا كاملا من الزمان ليجرد ميزاب من دينه وعروبته ، ويقضي على نظمه وتقاليده الاسلامية ، فما استطاع ، وخاض معه ميزاب معارك سياسية واجتماعية طاحنة استمرت قرنا كاملا من الزمان ، فكان النصر لميزاب الذي حمى دينه ونظمـــه الدينيـــة ، وزال الاستعمـــار وبقـــي ديـــن الله " [2] .

6- مجلس عمي سعيد الديني

لكل مدينة في وادي ميزاب مجلس عزابة ، يقوم بأمورها الدينية والاجتماعية، وعلى رأس جميع هذه المجالس ، يوجد مجلس يوحد بينـــها ، هـــو مجلـــس " عمي سعيد " في مدينة غرداية .

---

[1] - دبوز ، المرجع السابق ، ص 215 .

[2] - نفسه ، ص 225 .

وقد نسب هذا المجلس إلى الشيخ عمي سعيد بن علي الجربي الذي وفـد مـع اثنين من العلماء إلى وادي ميزاب ، وأحيوه بعلمهم في أوائل القـرن العاشـر الهجري[1] ، ولأن المجلس ينعقد في المسجد الذي بني في مقبرة عمي سعيد ، خارج مدينة غرداية ، وربما تخليدا لذكراه ، وعرفانا لفضله وفضل أصحابه .

ويتركب مجلس عمي سعيد من كبار العلماء ، وكبار العزابة وينتخب المجلس أكبر علمائه حصافة وشجاعة لرئاسته ، فيكون شيخ وادي ميزاب كله ، ومن الذيـن وصلـوا إلى هذه المرتبة العلامة الشيخ إبراهيم بيوض[2] .

---

[1] – دبوز ، المرجع السابق ، ص 241 .

[2] – من مقال ، لمحمد الشريف قاهر ، بمعجم مشاهير المغاربة ، (الجزائر 1995) ، ص103 ...105 : ولد الإمام ابراهيم بيوض عام 1401هـ في القرارة بـوادي ميزاب ، حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة ، ثم انكب على دراسـة علـوم اللغـة والشريعة ، وسمح له شيخه عمر بن يحي ، تلميذ الشيخ اطفيش ، بحضور الاجتماعات السرية التي تجمع أعيان البلد لإصلاح ومحاربة الفساد والوقوف في وجه الاستعمار .

وأصبح يدرس اللغة العربية والأدب والفقه لتلاميذ المدرسة التي نـشأ فيهـا ، ثم أسندت إليه إدارتها عام 1921 ، وفي عام 1923 انضم إلى حلقة العزابة ، ثم أسندت إليه ميشيخة المسجد ، فأصبح الواعظ الخطيب والمتحدث بهيئة عزابة القرارة ، ثم عين رئيس الهيئة الدينية عام 1939 ، وبقي كذلك إلى وفاته عام 1981 ، وكان مفسرا للقرآن ومفتيا حتى بلغ درجة الاجتهاد.

وتتمثل مهمة مجلس عمي سعيد في فظ المشاكل العامة التي تحدث في وادي ميزاب ، والاجماع على الطرق التي يجب سلوكها للخروج من الأزمات التي تحدث ،وفي هذا المجال يقوم بلأعمال التالية :

أ- تولية المشائخ في المساجد للوعظ والفتوى .

ب- اختيار الأقوال الفقهية الصحيحة التي يحكم بها القضاة ، في المسائل التي كثر فيها الخلاف .

ت- النظر في القضايا التي يحكم فيها القضاة حكما لا يرتضيه أحد الخصميـــن ، حين ترفع إليه.

ث- سن القوانين في دائرة الدين لتصبح عرفا اجتماعيا وتقاليد قارة يأخذ بها المجتمع الميزابي، سيما في الأمور الهامة التي قد لا تتبن فيها خاصة كل مدينة وجه الصواب ، وتسمى هذه القوانين " اتفاقيات عمي سعيد" .

وكان الشيخ ابراهيم بيوض من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وانتخب عام 1931 في أول إدارة للجمعية نائب لأمين المال ، ومن أعمال الشيخ بيوض الجليلة ، إنشاؤه لمعهد الشباب الثانوي للعلوم الإسلامية والعربية بالقرارة ، الذي أصبح فيما بعد " معهد الحياة " ، وفيه قضى حياته العلمية تدريسا وتربية وإدارة .

ج- مراقبة أوقاف الميزابيين خارج وادي ميزاب ، فإن الميزابيين لا يحلون في مدينة ويكثرون إلا وينشئون فيها مسجدا ومدرسة ، ومقبرة لموتاهم ، ودارا لترول المسافرين ، وتحبس هذه المنشآت جميعها للميزابيين لذلك يتولى مجلس عمي سعيد مراقبتها وله الحق في التصرف فيها .

وختاما لهذا الفصل فإن إباضيي وادي ميزاب يرون العزابة منهم ، قد قدموا إلى وظائفهم برضاهم واختيارهم ، وهم خيارهم لدينهم وعلمهم وصلاحهم ، فيتواضعون لهم ، ويخشون أمامهم ، ويتمثلون أوامرهم ، وينقدون لهم ، فامتثالهم للعزابة هو امتثالهم للدين ، وذلك لأن العزابة يمثلون الدين ، هم ينطقون بلسانه ، ويأمرون بما جاء به ، وهم حفظته وحماته .

الخـــــاتمة

سواء زوايا التعليم المحض أو الزوايا الصوفية ، غالبا ما جمعت بين المسجد والمدرسة وسكنى الطلبة من ناحية الوظيفة . ويحتوي بناء الزاوية عادة على مسجد بدون مئذنة ، وعلى ضريح مؤسسها، وغرف للطلبة بالإضافة إلى بناءات أخرى مكملة لها . وشكل الزاوية يوحي بالعزلة والتقشف والهدوء ، فالزاوية غير ضخمة البناء، وجدرانها قليلة الارتفاع ، وسقفها منخفض، وعناصرها المعمارية بسيطة وغير مزخرفة .

وكان عامة الناس يميلون بأوقافهم وصدقاتهم وأفعالهم الخيرية إلى الزاوية والطرق الصوفية ، فقد كانت بعض الزوايا والطرق الصوفية غنية ، حيث تطعم الأعـــداد الكبيرة من الزائرين وتؤويهم وتعلمهم .

إن المسؤول الرئيسي على الزاوية في العادة هو مؤسسها أو المرابط نفسه أو ورثته . فهي مقام الولي الصالح ومصلاه ، ومجمع أوراده وأذكاره ، وفيها يدرس ويستقبل المريدين ، وفيها يصلح بين الناس ، وينورهم في شؤون دينهم ، ويفتيهم ، ويحكم بينهم . وفي غياب المؤسس أو المرابط يتولى تسيير الزاوية عادة أبناؤه وأحفاده على نفس النمط ، وهم عادة يمثلون طريقة صوفية معينة . ولكن

الزاوية تحتاج أيضا إلى مساعدين وغيرهم، فكانت أغلب الزوايا تحت إشراف المقدم (أو القيم) ، وكان هذا المقدم عادة من نسل الشيخ المرابط أو من أهل الصلاح والخيـــر .

كما كان الطلبـــة أيضـــا يتولـــون تسييـــر الزاوية تحت إشراف المقدم (أو القيم ، أو الوكيـــل) ، فيسهرون على النظافة والتموين ، وأداء الشعائر الدينية ونحو ذلك .

وإذا كان التعليم في الزوايا لا حدود له من حيث السن ومدة الدراسة، فإن له حوافز تدفع بالمتعلمين إلى المزيد من طلب العلم وإتقانه وفهمه. فمعظم المتعلمين كانوا يستزيدون علما استكمالا لدينهم ، وفهما لمبادئه وحدوده .

ومن جهة أخرى ، فقد كان المتعلم مدفوعا إلى العلم بدافع ذاتي واجتماعي. فالطالب كان يقدم على التعليم لرغبة ملحة وتضحية كبيرة وإيثار للذكر الحسن، لأنه يجد فيه لذته وإشباع ميوله الشخصية والاجتماعية .

وهناك من كانت تدفعه إلى طلب العلم تقاليد الأسرة ، وإذا كان الوالد من العلمـــاء أو المتصوفة فالغالب أن ابنه سيقلده في ذلك ،وبتشجيع منه .. وقد كانت بعض الأسر تتوارث العلوم والتصوف، كما كانت أسر أخرى تتوارث التجارة والمهن الأخرى.

وإذا تخرج المتعلم من الزاوية قد يصبح شيخا يدرس بالزاوية نفسها أو زاوية أخرى، أو إماما في أحد المساجد، أو مؤدبا للصبيان في أحد الكتاتيب ، وقد يواصل تعليمه خارج الجزائر لبلوغ المترلة الرفيعة .

وما دام العلم كان لا يؤهل في الغالب لأعمال دنيوية مربحة، فإن أصحابه كانوا يكتفون منه أحيانا بالقليل مما حصلوا عليه في ، ويتجهون وجهات أخرى في الحياة لا تحتاج إلى غزارة العلم .

ومهما كان، فإن الزوايا التعليمية المحضة أو الصوفية أو مدارس العزابة ، قد أدّت واجبا عظيما نحو الأمة في حفظ الدين واللغة والتراث ، وربت طلبتها على الزهد والعفة ، وعلمتهم الرفعة و الكرامة ، والحفاظ على الشخصية ، وهذا يتجلى في منهجها التربوي ونظامها الداخلي ، وذلك بالإضافة إلى دورها التعليمي في مختلف العلوم الدينية واللغوية والمحضة .

والطريقة الصوفية كالزاوية تهتم بالتربية والشعائر الدينية اهتماما كبيرا فلا تتهاون في أداء الواجبات الدينية، وفي الأذكار والسلوك والأخلاق، فهي قواعد أساسية في ممارسة الزهد والتصوف .

وما أن لاحظ الاحتلال الفرنسي الدور الذي تقوم به الزوايا في مجال التربية والتعليم والتصوف ، حتى مدّ يده إلى هذه الزوايا يشوهها ويستأصلها ، ويتخذها قاعدة في التدمير والتخريب، وذلك

لأن الاستعمار يعلم أن التعليم الديني الحر الزاهد هو الذي يصنع العقول المفكرة الرافضة للاحتلال ، ويعطي الشخصية الوطنية والقومية عمقا واعيا ، وبالتالي يمثل حصنا يجعل كل المحاولات الفرنسية في التغريب والذوبان عبثا ومجهودا ضائعا .

لكن الزوايا التعليمية والصوفية كانت حصونا للإسلام ، ومدارس لتحفيظ القرآن الكريم وتفسيره ، وتعليم مختلف العلوم الشرعية ، واللغة العربية ، وتدريس الفقه المالكي الذي انتشر في المغرب العربي كمنظومة ابن عاشر ، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني والشيخ خليل وغيرها ، وهذا دون إهمال العلوم المحضة أيضا ، وهي المنطق والحساب والفرائض والفلك ، وكذلك مدارس العزابة التي اختصت في الفقه الإباضي

إن زوايا الصوفية وجماعة العزابة كانت تؤدي أيضا وظيفة المحاكم الشرعية ، يقصدها الناس للفتاوي والاستفسارات عن الأمور الدينية ، وإصلاح ذات البين ، وفض النزاعات والخصومات ، وتسوية الخلافات عن طريق الصلح والتراضي . وهي أيضا ملاجئ تأوي الطلبة والفقراء وأبناء السبيل وتطعمهم .

وفي أيام الحرب كانت بعض الزوايا ومقرات الصوفية ملتقى المجاهدين ، ومراكز المقاومة ، وهذا ما أثار غضب الاحتلال الفرنسي ، فدفعه الحقد إلى هدم وتخريب معظمها ، واغلق بعضها ، وذلك لأنها كانت مراكز للثقافة الإسلامية ، واللغة

العربية، والتوعية الوطنية والقومية ، ولمقاومة الاستعمار ، وتحريض الناس على مقاطعة المحتل ، والإعراض عن هيأته ومؤسساتـــه .

المصادر والمراجع باللغة العربية

- ابراهيم محمد طلاي ، ميزاب بلد كفاح، قسنطينة 1970 .

- ابراهيم مياسي , من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر ، الجزائر 1999

- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ج1 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1981.

- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 4 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1998 .

- أبو القاسم سعد الله ، تجارب في الأدب والرحلة . المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983 .

- أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج 2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1983 .

- أبو القاسم محمد الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف، الجزائر 1906 / مؤسسة الرسالة ، بيروت 1985 .

- أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر . دار الكتاب / دار المعارف , القاهرة 1963 / الجزائر 1984 .

- الحاج مزاري ، الهامل ، المطبعة العصرية بلوزداد ، الجزائر 1993 .

- بكير بن سعيد أعوشت , محمد بن يوسف اطفيش ، غرداية 1989 .

- رابح تركي ، التعليم القومي والشخصية الوطنية (ش. و . ن . ت) ، الجزائر 1975 .

- سعيد بن الزكري الجنادي الزواوي ، أوضح دلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل مطبعة فونتانة ، الجزائر 1903 .

- عباس بن ابراهيم المراكشي, الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام ، ج 05 المطبعة الجديدة ، فاس 1938 .

- عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج1 ، دار الكتاب اللبناني ، ط 2 ، بيروت 1979 .

- عبد الله ركيبي . الشعر الديني الجزائري الحديث . الجزائر ، (ش .و . ن . ت) 1981 .

- علي يحي معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، الحلقة الرابعة ، غرداية 1986 .

- عمار هلال ، الطرق الصوفية ، ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء ، الجزائر 1988 .

- عمر فروخ ومصطفى الخالدي ، التبشير والاستعمار في البلاد العـــربية ، بيروت 1953.

- عوض محمد خليفات ، النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في شمال إفريقيا ، عمان 1982 .

- فرج محمود فرج ، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، ديوان المطبوعات الجامعية 1984 .

- محمد الهاشمي بن بكار ، كتاب مجموع النسب ، الجزائر 1961 .

- محمد بن جعفر الكتاني ، سلوة الأنفاس ، ج 01 ، فاس 1326 هـــ .

- محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبـــد القادر ، ج 01 ، بيروت 1964 .

- محمد عبد القادر ، الفكر الصوفي في السودان ، القاهرة 1968 .

- محمد علي دبوز ، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ، ج1، دمشق 1965 .

- محمد ناصر، حلقة العزابة ، الجزائر ، 1989 .

- محمد نسيب ، زوايا العلم والقرآن بالجزائر . دار الفكر ، الجزائر 1989.

- مقران يسلي ، الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائـــل (1920 – 1954) . رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر ، سنة 1991 .

- مولاي بلحميسي ، الجزائر من خـــلال رحلات المغاربة في العهـــد العثمانـــي . (ش. و. ن . ت) ، الجزائر 1981 .

- يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ج1 ، الجزائر ، 1996 .

المقـــــالات

- أبوعمران الشيخ وعلي علواش ، معجم مشاهير المغاربة ، جامعة الجزائر ، 1995.

- جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية بأدرار ، في ملتقى أيام 14-15-16 ماي 1998 بالمركز الثقافي في مدينة أدرار .

- دي مو تلنسكي ، " الإباضيون " دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الأول . القاهرة 1933

- عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر ، المكتبة التجارية ، بيروت 1971.

- علي علواش ، " التجاني " ، معجم مشاهير المغاربة ، جامعة الجزائر 1995 .

- لفتسكي تادوز ، " الحلقة " ، دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الثالث .

- لويس ماسينيون ، " مادة التصوف"، دائرة المغارف الإسلامية ، المجلد الخامس .

- ليفي بروفنسبال ، "الزوايا " دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد العاشر .

- ماسينيون ، " مادة طريقة" ، دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد خامس عشر .

- محمد البشير الإبراهيمي، مجلة مجمع اللغة العربية ، عدد 21 ، القاهرة 1966 .

- محمد الشريف قاهر ، .بمعجم مشاهير المغاربة ، الجزائر 1995 .

_ محمد حوتية ، " مخطوطات إقليم توات " مجلة معهد للبحوث والدراسات الافريقية ، ديسمبر 2001 ، جامعة القاهرة .

- مرجوليوث ، " تجانية " ، دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد الرابع .

- مصطفى عبد الرازق باشا ، " مادة التصوف" دائرة المعارف الاسلاميـــة , المجلد الرابع .

- و،ج مارسي ،" المباني العربية بتلمسان" . دائرة المعارف الإسلامية .

- يحي بوعزيز ، أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرنين 19 و 20 " مجلة الثقافة " عدد 63، السنة 11 ، ماي / جوان 1981 .

المصادر والمراجع باللغة الأجنبية

-Ageron (Ch.R), Les Algériens musulmans et la France 1871 – 1919 , Paris 1968 , T.1.

-Depont (o) et Coppolani(y) ,Les confréries religieuses musulmanes , Alger , 1897 .

-Deveyrier (H) , Exploration du Sahara , Paris 1905 .

-Foureau (F) , d'Alger au Congo par le Tchad , Paris 1902

-Levi Provençal (E.) : Les histoires de chorfa , Paris 1922

-Marey (général) : Expédition de Laghouat , Alger 1844

-Rinn (L) , Marabouts et khouan , Alger , 1884 .

-Tailliart(Ch).l'Algérie dans la littérature française,Paris 1925

المقالات .

-Berque (A) , « Un Mystique moderniste : de Cheikh Benalioua . » , Revue africaine ,vol . 79 / 2 ,année 1936 .

- Cauvet (commandant) : « Notes sur le Souf et les Souafat » , Bulletin de la société de géographie d'Alger , Vol 35 , N° 137 , année 1934 (01er tri .) .

-Cour (A), «Recherches sur l'état de confréries religiueses musulmanes », Revue africaine , 1921 .

-Garrot Henri , « Le mouvement islamique » , Bulltin de la societe de geographie d'Alger et de l'Afrique du Nord , 1906

-Maugin (E.) : « Notes sur l'histoire de Laghouat », Revue africaine, N° 38, année 1894

-Trumelet (C) : « Notes pour servir à l'histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864 » Revue Africaine , Vol . 21 , année 1877.

- Yver (G) : « Abdelkader et le Maroc en 1838 » Revue africaine , N° 60 , année 1919

فهرس المحتوى

المقدمة 5
تمهيد 7

الفصل الأول : زوايا العلم والتعليم والاحتلال الفرنسي

1- تعريف 13
2- نشأة الزوايا بالمغرب الإسلامي والجزائر خاصة 14
3- انتشار الزوايا ومراكزها الكبرى عبر الجزائر 18
أ – زوايا الوسط الجزائري 25
ب – زوايا منطقة زواوة 26
ج – زوايا بجاية ومنطقتها 29
د – زوايا الشرق الجزائري 30
ه – زوايا الغرب الجزائري 31
و – زوايا الجنوب الجزائري 32
ز – زوايا توات و إقليمها 34
4- سياسة الاحتلال الثقافي وتصدي الزوايا لها 37
أ – سياسة الفرنسة والتصدي لها بالمحافظة
على اللغة العربية 39

ب – سياسة التنصير والتصدي لها بالمحافظة
على الدين الإسلامي 41
ج – سياسة الإدماج والتصدي لها بالمحافظة
على الروابط...44
5- دور الزوايا في نشر العلم 46
6-تنظيمات الزوايا..51
أ_ موارد الزوايا 51
ب _ نظام التسيير بالزوايا 58
القائمون على الزوايا..................58
الطلاب..................................60
المدرسون 62
ج_ نظام التعليم بالزوايا 64
الالتحاق بالزاوية 64
منهج الدراسة 66
المواد المدروسة 69
7- نماذج من الزوايا التعليمية 73
أ – زاوية الشيخ عبد الرحمن اليلولي..........73
الموقع والتأسيس 73
نظام التسيير 74
نظام الدراسة بالزاوية اليلولية...........76
النظام الاجتماعي 78

مساهمة الزواية.................................... 79
أسماء بعض الشيوخ المدرسين بالزاوية اليلولية ... 80
ب – زاوية الهامل.................................. 82
الموقع والتأسيس.................................. 82
إدارة الزاوية 83
أهمية الزاوية ودورها التعليمي 84
المواد الدراسية 85
بعض خريجي زاوية الهامل وأشهرهم 86
أبرز المجازين بزاوية الهامل 88
8- حوارات.. 89
أ- حوار مع الأمين العام للجمعية الوطنية للزوايا 89
ب -حوار مع ناظر الشؤون الدينية بولاية أدرار 90

الفصل الثاني :

الصوفية والاحتلال الفرنسي في الجزائر 93

1- مفهوم التصوف وممارسته 95
2- العلاقة بين التصوف والاحتلال الفرنسي للجزائر.... 99
3- الصوفية والدور الوطني 100
أ- القادرية 101

ب- الشاذلية 106
ج- الزروقية واليوسفية 112
د- العيساوية 115
هـ - الكرزازية 117
الشيخية 118
ز- الزيانية.............................. 123
ح – الرحمانية 126
ط – السنوسية............................ 133
ي – التجانية 137
ك – الدرقاوية 151
ل – العليوية 155
م – البكائية 157
ن – الطكوكية 158
ص – الطيبية............................ 161
4- موقف الاحتلال الفرنسي من الصوفية 163

الفصل الثالث :

العزابة بوادي ميزاب............................ 167
1- التعريف بنظام العزابة....................... 169
2- الدور الديني للعزابة 175
3- الدور الاجتماعي للعزابة 180

4- الدور التربوي والتعليمي........................ 184
5- دور العزابة في مقاومة الاحتلال الفرنسي........... 188
6-مجلس عمي سعيد الديني............................ 192

الخاتمة 197
المصادر والمراجع باللغة العربية.................... 203
المصادر والمراجع باللغة الأجنبية 209

***

الإيداع القانوني : 4637 -2007
ردمك : 5 - 803- 54-9961 -978
دار الغرب للنشر والتوزيع
حي 52 مسكن رقم ENSEP/101 – وهران-
الهاتف: 82 17 58 041 / 52 85 58 041

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

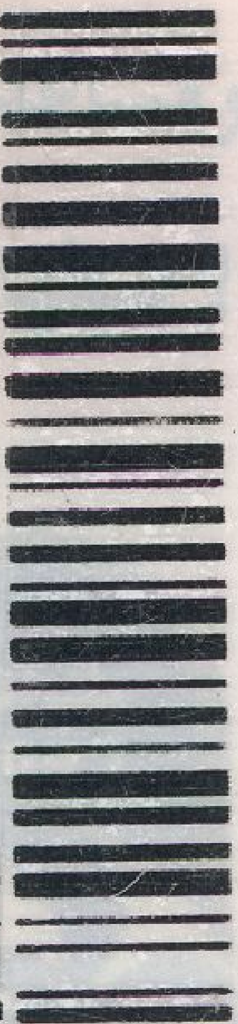
كثر الجدل والنقاش في أوساط المثقفة حول الزوايا ومختلف الطرق الصوفية في الجزائر ، أثناء فترة الاحتلال الفرنسي ، ومدى مساهمتها في الحفاظ على مقومات المجتمع ، ومقاومة الاحتلال ، أو تخضير المجتمع والتعامل مع الاحتلال فهل كان دور الزوايا والتصوف إيجابيا أوسلبيا في مواجهة الاحتلال الفرنسي ؟ وكيف كان موقف الاحتلال ورد الفعل ؟

في الواقع قامت دراسات حول الزوايا والتصوف في الجزائر ، ولو كانت قليلة أو جزئية وتعرضت إلى جوانب دون أخرى ، أو محلية في بعضها . ولو اجتمع شتات تلك الدراسات وتناولت بطريقة أكاديمية كما فعل " د.أبو قاسم سعد الله " في مؤلفه " تاريخ الجزائر الثقافي " ، لوجد الباحث مادة غزيرة حول الموضوع أو ما يحتاج إليه .

واعتمادا على ما ذكر حاولت جمع بعض المعطيات حول الزوايا والتصوف ، وتلخيصها وترتيبها ، وتقديمها مختصرة للقارئ .

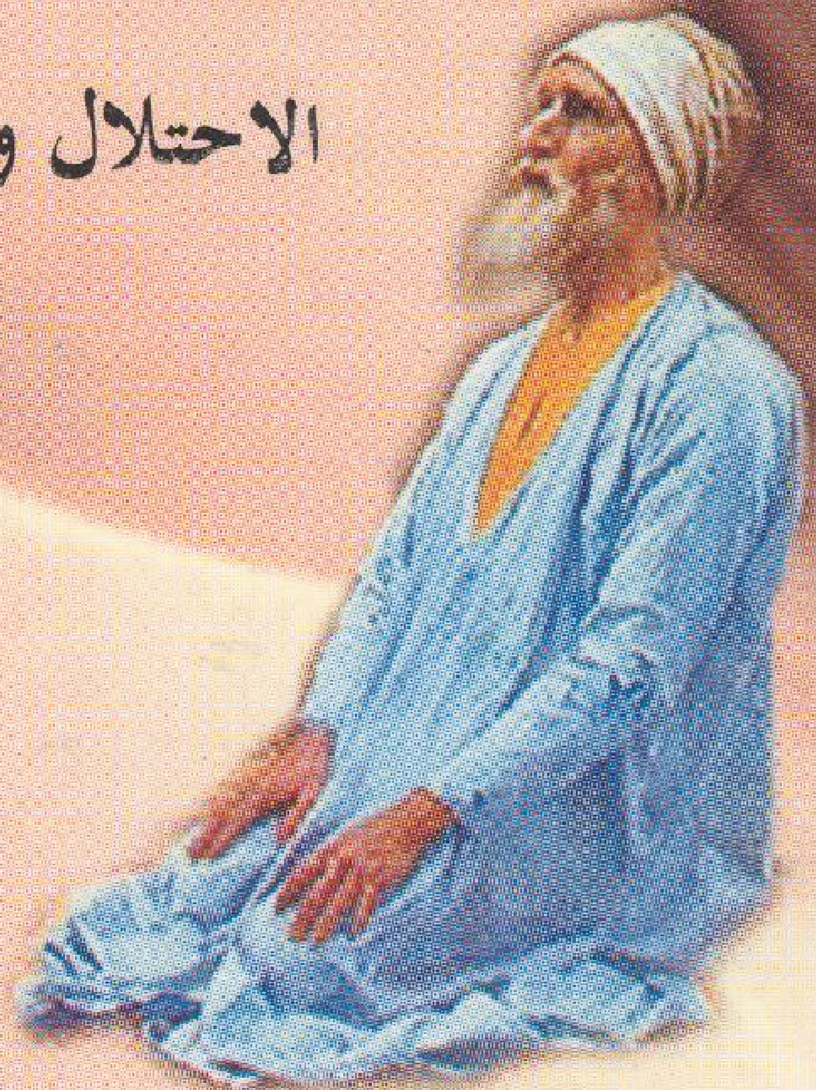
ولعل المتصفح قد يجد في هذه المساهمة البسيطة والتواضعة ما كانت تقوم به الزوايا من تعليم ديني تمثل خاصة في القرآن والتفسير والحديث والفقه ، والنحو والصرف والأدب والبلاغة ، بالإضافة إلى علوم أخرى كالحساب والفلك والتاريخ والجغرافيا .

أما التصوف فبالإضافة إلى اهتمامه بالعبادات والزهد ، فظهر دوره الروحي والاجتماعي والتربوي لا سيما في إقامة الزوايا والقيام بالتعليم ، وإيواء اللاج المحتاجين ، والإصلاح بين أفراد المجتمع ، وتقديم الملجأ الروحي للذين يعانون الاحتلال وتعوزهم الوسيلة لمقاومته .









دار الغرب للنشر و التوزيع